الدار للنشر والتوزيع

قصص



أصفر أحمر برتقالي

محمود عبد الواحد

أصفر أحمر برتقالي محمود عبد الواحد الدار

أصفر..

أحمر..

برتقالي..

اسم العمل	:	أصفر.. أحمر.. برتقالي..
النوع	:	قصص قصيرة
تأليف	:	محمد عبدالواحد
تصميم الغلاف	:	أحمد ملواني
إخراج داخلي	:	عبدالقادر فايز
الطباعة	:	اتيليه تاتش – المحروسة
الناشر	:	الدار للنشر والتوزيع
المدير العام	:	محمد صلاح مراد
تليفون	:	٠١١٢٥٨٠٠٤٦٧
البريد الإلكتروني	:	eddar_press@yahoo.com
فيس بوك	:	www.facebook.com/eldarpublish
رقم الإيداع	:	٢٠١٨/٧٤١٣
الترقيم الدولي	:	I.S.B.N.: 978-977-702-216-3

أصفر..

أحمر..

برتقالي..

قصص قصيرة

محمد عبدالواحد

الدار
للنشر والتوزيع

٢٠١٨

ألـوان

أصفر.. أحمر.. برتقالي..

إرروه.. إرره..

أيقن أن أمه لم تسمعه بعد.. تابع أنامل كفه الصغيرة يحركها قرب وجهه..

داددادده..

ملل.. وقت مضى وهو كما تركته مازال.. مستلقيا على بطنه المثقلة بالرضعة.. فاردا ذراعيه الصغيرتين على السرير كأنه يطير.. يمسح بطرف لسانه الصغير رأس سن واحدة تشق لنفسها كحد الموسى فى لثته السفلى الخالية تماما..

إم م م..دداااه..

يتابع لمعة البلل على الببرونة.. غافلت شفتيه وخرجت منزلقة.. صفراء.. منتفخة.. كإبهام أجوف فى نهاية سلسلة بلاستيكية بيضاء شد طرفها دبوس بلاستيكى إلى صدريته..

رفع رأسه بحجم البرتقالة الكبيرة يتابع.. يتكرر في رتابة على مقربة طقطقة مروحة تدور في مكان ما بحفيف وهواء طاردة الحر المشبع برائحة بودرة التلك..

فى تمهل يدور برأسه الخفيفة الشعر باحثا.. لا أحد.. مط طرف شفته السفلى إلى أعلى.. هيييئ..هيئ..هيه.. هيه..

مغص خفيف ما يزال يبث إلى جنبات بطنه موجات من الضيق..

اهئ.. اهئ..ددا دا..

هز نفسه يمينا.. لم ينجح.. عاودها يسارا.. استطاع أن يميل.. بضغطة من كتفه انقلب على جنبه الأيمن.. بكعب قدميه الصغيرتين دفع طراوة الفراش.. أخيرا على ظهره انقلب.. اوره.. السقف أبيض.. واسع البياض بغير نهاية.. حاول أن يمسك بالبياض فلم يفلح.. زم شفتيه وهو يلتقط إبهامه بينهما يمصه مستغرقا في البياض الشاسع.. سالت ريالته بلمعة زجاجية..

ايييه..

ركل الهواء بقدميه.. الانتفاخ يتمدد إلى حدود المغص.. كيف يناديها.. أين ذهبت بالرضعة الفارغة؟

هي ي ئ. هي ئ..هيه.. هيه.. هه.. فى دهشة صمت فجأة يتابع فراشة ترف وسط سماء السقف الابيض.. على أجنحتها تتماوج دوائر براقة من الأصفر والأحمر والبرتقالى.. رف بجفونه يتابع.. مأخوذا استدارت شفتاه فخرجت قبضته الصغيرة بإبهامه مبلولا.. فى منتصف السقف وقفت الفراشة مقلوبه.. تضمه بجناحيها.. تغطيه بالأصفر والأحمر والبرتقالى.. بسط إليها كفه اليمنى بأنامله الصغيرة.. فتحت له جناحها الأيمن..

عاوده المغص.. حرك كفه فى نصف دائرة يمينا ويسارا.. رأى الفراشة تلتفت اليه.. حرك يده ناحية بطنه.. هي ئ..هيه.. هيه..

بسرعة رفت بالأصفر والأحمر والبرتقالى مغادرة السقف.. تابعها تطير خارجة من الغرفة..

اره.. هييه.. دددددا..

خطوات قادمه بصوتها الحبيب.. التفت برأسه البرتقالة.. أخيرا.. وجه ماما يقترب وفى يدها ترج البيرونة لتشع برائحة الكراوية الدافئة.. أعلى رأسها عادت الفراشة ترف بالأصفر والأحمر والبرتقالى.. انساب دفء الكراوية براحة رائعة.. تجشأ.. عاود يسحبها دفقة بدفقه.. دفع برأسه إلى الخلف يدور بعينيه باحثا.... ترك للبيرونه الفرصه أن تسترد الهواء ببقبقات متتالية وقد انضغطت بين شفتيه المزمومتين.. كانت

واقفة هناك.. مقلوبة على أحد جوانب السقف ترف بالأصفر والأحمر والبرتقالى.. مد أنامله الصغيرة إليها فى سعادة.. دددداهه.. رفت بجناحها اليمنى تطمئنه أن بالقرب منه صديقا لن يتركه وحيدا.. أبدا.

طرررررروت

الدور الرابع..التأمينات الاجتماعية..قسم معاشات الأحياء..

علـى مكتبـه المتهالـك لوحـة خشـبية يعتلـى صـدرها بخـط كـوفى باهت"شوقى السيد / محاسب"..

درجته الوظيفية هى الأدنى..رغم ذلك تتكدس مكاتب الزملاء الأربعة مبتعدة مترا أوأكثر لينفرد بمكتبه تحت الشباك المفتوح دائما فيحسبه القادم مدير القسم..

على كرسيه الخشبى وسادة مهترئة بقعتها السنون بتشكيلات صفراء..

تمد لـه نموذجك فينكب بصلعته الخمسينية شبه المستطيلة ونظارته المقعرة يمـلأ الخانـات.."رقم بطاقتك ؟".."الرقم التأمينى ؟"..تلاحقه بالبيانات فيسابقها متقافزا بالقلم..يميل فجأة بزاوية مستندا بصدره على حافـــة المكتـــب تاركـــا الفـــراغ المناســـب بـــين مقعدتـــه و

الوسادة.."طررررروت"ممطوطة متحشرجة تخرج من محبسها في معاناة بعد نفاذ صبر يودعها بآهة ارتياح ..تقطب ما بين حاجبيك.. تلتفت مترددا إلى بقية الموظفين فلا يبادلونك التفاتا لتتأكد بأنهم قد اعتادوا ذلك..تغلق عن الهواء المثقل بالرائحة جدران أنفك..يعود مستقرا بمقعدته إلى الوسادة مستمرا فى التقافز بالقلم..دون أن يرفع رأسه يتمتم "لا مؤاخذة"..

تنتبه إلى المروحة الاستاند القديمة المجاورة لمقعده وهي تدور بحفيف معدنى يختلط بنقرات المطر خارج النافذة.. تدفع المروحة بدفقات الهواء إلى أسفل ليحمل فى طريقه ما يقابله ملقيا به من النافذة المجاورة إلى الشارع.. يمهر نموذجك بتوقيع وختم" أى خدمة".. فتنصرف ...

يلقى شوقى بالدوسيه الضخم بين الرفوف المكدسة خلفه.. يعاود الجلوس.. يمضغ حبة الفحم وهو يرمق محسن الكلب على مكتبه وقد أطلق عليه فى المصلحة" الأستاذ/ ثانى أكسيد الكربون".. يرتشف بقايا كوب الكمون.. يتمتم وهو يمضغ مرارة التفل" دكاترة ؟..هه".. سبع سنوات يدرسونها بالإنجليزي.. على جدران العيادة تتراص دلائل النبوغ بكل اللغات فى قصاقيص الصحف والمجلات والشهادات.."فيزيتا" تليق بأستاذيته.. فى النهاية يعجزون عن تخليصه من قبضة هواء ملعونة تملأ قولونه فى تحد كل عشر دقائق.. يلقون بعجزهم على الأميبا..

- فى عرضك يادكتور.. أعطنى لها أى دواء.
- للأسف هى متحوصلة

ثبت عينيه على ظهر نموذج أمامه.. يدق بسن القلم البلاستيكى شبه الفارغ.. خط عريضا اسم" عصام" وأحاطه بدائرة.. لم تمر على خطبته لسارة غير ثلاثة أشهر.. بالأمس تهرب عصام ثانية من دعوتهم له للغذاء.. الجمعة الماضية بينما يرتشف معه الشاى معلقا على هزيمة منتخب مصر أمام غانا مؤكدا عدم صحة ضربة الجزاء.. وهو يضع ساقا على ساق أفلتت طررررروت قوية.. صمت ثلاثتهم لثوان..حاول عصام أن يخفى تعمد غلق فتحتى أنفه بإصبعيه و كأنها حركة عفوية .. احمرت وجنتى سارة وهي تطرق إلى الأرض..

- لا مؤاخذة
- ولايهمك ياعمى.. احم م

قبل أن يعاود شوقى الكلام ارتشف عصام من فنجان الشاى رشفة مضطربة انتهت برنة ألفنجان على طبقه الصينى وهو ينظر إلى ساعته.. وقف معتذرا بأنه قد نسى موعدا هاما.. وانصرف.. أسرعت سارة إلى غرفتها صافعة الباب خلفها.. لحقتها عايدة خارجة من المطبخ وبيدها صينية ترن عليها متصادمة كاسات جيلى الفراولة المرصوصة لتطرق الباب متسائلة" إيه اللى حصل يابنتى ؟.. افتحى ياسارة "..

عايدة تشارك سارة غرفتها منذ سنوات.. تركت له سريرهما بعد أن كانت تنهض من نومها تبسمل مفزوعة كل ليلة ل"طررررروت" تشرخ صمت الليل.. ارتاح لقرارها.. على الأقل لن يضطر لأن يهرع كل ساعة إلى الحمام فيستغرق ساعة أخرى قبل أن يعاود سباته..

يغلق غطاء قلمه.. يسترجع مقاطعا من حلمه المتكرر.. الأميبا بشكل صرصور أبيض تتسلل ناحيته من تحت عقب باب غرفة خالية واسعة..تنمو أرجل الأميبا الصرصور لتعلو بارتفاع جمل..تواجهه مثبتة فى عينيه عينيها الحمراوين تحرك شواربها الصرصورية..تسحب بإحدى أرجلها المشعرة من تحت بطنها منفاخا كمنفاخ الدراجات..لنظرتها الآمرة يستدير راكعا بعد أن يسحب بنطاله أسفل ركبتيه..تدس الأميبا المنفاخ باحكام.. صوت ضخ الهواء..تششت تششت..يئن.. تششت.. ينتفخ بطنه..يتأوه.. تششت تششت..يصرخ.. يتمزق قميصه..ممتلئا كبالون يتدحرج مرتفعا..يحاول ملامسة أرض الغرفة بقدميه ثانية دون جدوى..ينسحب سقف الغرفة عن الفضاء مقرقعا..يتهادى إلى أعلى طائرا بعد أن أحكمت الأميبا سد فتحته بفلين يتدلى منها خيط غليظ..يرتفع معتليا أعمدة النور المطفأة..الحقول تجرى فيها جرارات زراعية وكلب ينتبه إليه فينبح رافعا رأسه ناحيته محاولا اللحاق به..السيارات صف نمل يتحرك فى بطء على ظهر ثعبان أسفلتى..الأميبا تشد الخيط فجأة ساحبة سدادة الفلين.. يندفع منه الهواء هادرا"طرررررووت".. يلف حول نفسه فى اتجاهات متعاكسة..

طـرررررروت.. ينـدفع بهبـوط حلزونـي.. طـرررررروت.. السـكان يهرعون وهم يسدون أذانهم.. يتبادلون أقنعة الحرب الكيميائية.. بعض أوراق الأشجار يخنقها الذبول.. طررررروت.. يندفع هابطا إلى وسط حديقة.. تنحنى زهورها الحمراء والبيضاء ذابلة.. يعلق فجأة كبالون فارغ على أشواك مدببة لصبار ضخم..

انتبه إلى جلسته على المكتب وهو يضرب على بطنه محاولا ازالة أثار شوك الصبار .. كان جلد بطنه مشدودا كطبل.. يهرع إلى حمام المصلحة.. بيد يغلق الباب وبالأخرى يسارع بفك الأزرار.. كالعادة خطوات زميل أو عميل تقترب من باب الحمام ليقف منتظرا دوره.. وهو جالس يشد" السيفون" ليغطى بهدير الماء على" طرررروت" دون فائدة..يطلقها مستسلما تدوى بصدى .. يخرج وهو يعدل من ملابسه دون أن يلتفت لوجه الواقف منصرفا – لا مؤاخذة.

الشهر الماضى أخذ ثلاثاء إجازة عارضة مصطحبا عمرو ليقابل مدير المدرسة الذي استدعى مدرس الجيولوجيا الأستاذ/ناصر إلى مكتبه..وهو يرفض الجلوس غاضبا اتهمه شوقى بأنه يمارس الضغوط على ابنه ليدفعه دفعا إلى أخذ درس خصوصى لديه.. وأن عليه أن يخجل من نفسه.. و..طرروت خاطفة .. احمر وجه المدير.. تجمعت كل عضلات وجه الأستاذ ناصر حول أنفه دافعا بشاربه الكثيف فوق

شفتيه المزمومتين ليسد فتحتى منخاره..تمتم باللامؤاخذة منصرفا تاركا عمرو بين أيديهما..

سحب ورقة فولسكاب بينما الطنين المعدنى للمروحة يعلو وينخفض.. خط فيها من بعد التحية طلبا بسلفة خمسمائة جنيها من راتبه لظروف خاصة مذيلا الطلب بالامتنان والتقدير.. استمر واقفا أمام مكتب المدير لخمس دقائق منهيا قراءته المتأففة بتناوله القلم الأحمر ليخط ضاغطا الحروف بين أسنانه "مرفووض"..

- ليه سعادتك؟
- مش كفايه الإحراج اللى مسببه لنا مع العملاء كل يوم؟
- ودا يعنى بايدى سعادتك؟
- اتفضل على مكتبك يا أفندى.. صحيح.. اللى اختشوا ماتوا.

استدار شوقى فى مكانه متباطئا.. قطب ما بين حاجبيه.. زم شفتيه وهو يغلق عينه اليسرى.. في تصميم شد عضلات بطنه يجمع من جوانبها ما تفرق دافعا إياها في إعصار هادر إلى القولون.. "طروووورت".. مأخوذا رفع المدير وجهه مقوسا حاجبيه وقد ارتعشت شفتاه بالغضب.. التفت شوقى إليه مبتسما وهو ينصرف – لا مؤاخذة.

شفتيه المزمومتين ليسد فتحتى منخاره..تمتم باللامؤاخذة منصرفا تاركا عمرو بين أيديهما..

سحب ورقة فولسكاب بينما الطنين المعدنى للمروحة يعلو وينخفض.. خط فيها من بعد التحية طلبا بسلفة خمسمائة جنيها من راتبه لظروف خاصة مذيلا الطلب بالامتنان والتقدير.. استمر واقفا أمام مكتب المدير لخمس دقائق منهيا قراءته المتأففة بتناوله القلم الأحمر ليخط ضاغطا الحروف بين أسنانه "مرفووض"..

- ليه سعادتك؟
- مش كفايه الإحراج اللى مسببه لنا مع العملاء كل يوم؟
- ودا يعنى بايدى سعادتك؟
- اتفضل على مكتبك يا أفندى.. صحيح.. اللى اختشوا ماتوا.

استدار شوقى فى مكانه متباطئا.. قطب ما بين حاجبيه.. زم شفتيه وهو يغلق عينه اليسرى.. في تصميم شد عضلات بطنه يجمع من جوانبها ما تفرق دافعا إياها في إعصار هادر إلى القولون.. "طروووووورت".. مأخوذا رفع المدير وجهه مقوسا حاجبيه وقد ارتعشت شفتاه بالغضب.. التفت شوقى إليه مبتسما وهو ينصرف – لا مؤاخذة.

نبـــاح

حتى باب المسجد وجده مغلقا..فهم لا يصنعون حسابا لمن يريد الله فى منتصف الليل ليبكي..دس يسراه فى جيبه وسيجارة بين شفتيه ومضى يجوب الشوارع المظلمة..فى أذنيه اختلطت نهاية زوم ببداية زمجرة..انتبه أن كلاب المدينة لا تحب دق الحذاء فى الواحدة صباحا..تردد فى اجتياز الشارع..تحلقت حول خطواته المضطربة ترج أعصابه بنباح مبحوح متصاعد يخرج من بين أنياب طويلة مبللة بمخاط ..جرى.. رهيبا كان صوت نباحها الغاضب مع أظافرها الصلبة تدق الإسفلت خلفه فى اصرار..عقر أحدهم طرف سرواله..سمع صوت المزق..تثلجت أنفاسه..دقت العروق سطح جمجمته..رمح مبتعدا وقد ترك بين انيابها اطراف البنطلون ..فى مكانها وقفت تنبح وتسبه هو و آباءه..تنبح وتتوعده لو مر ثانية من هنا..استمر يجرى فى الشوارع المظلمة..الباردة..طرطش حذائه في مياه بالوعة طافحة..داهم عينيه مصباح سيارة فرملت أمامه فى

قـوة..أخرج الضـابط يـده مـن زجـاج نافـذتها المفتـوح ممسـكا بتلابيبـه ..سأله عن سبب جريه في هذا الوقت من الليل ..لم يرد..بحث عن بطاقته الشخصية..لم يجدها .

تك.. توك

وصلنا الكورنيش.. قطرات الندى تبلل الملابس الرياضية لكلينا.. برودة نسمات الواحدة صباحا تلسع الخلايا وتخز أغشية الانف.. بدأت احماء عضلاتى استعدادا للجرى.. فى صمت لايزال واقفا يدس كلتا يديه فى جيوب الترنج.. أردت تشجيعه.. كبندول حركت جذعي يمينا ويسارا.. لامست ببطن كفى الأرض مرات عدة .. لم يلتفت تجاهى.. ظل واقفا يصب كل تركيزه على نقطة من أسفلت الطريق الخال من العجلات.. نقيق ضفدع ثرثار يتناهى من جانب مياه النيل المظلمة.. صحت متعمدا المفاجأة " واحد.. اثنان.. ثلاثة ".. بخطوات بطيئة بدأت الجرى.. لم يتحرك.. قبل أن أقف ثانية كان قد ترك لخطواته ان تتهادى به..

بالأمس قالت لى أمه بعد أن فتحت الباب " آسفة لأنى ارسلت اليك فى هذا الوقت.. لم ينطق بكلمة واحدة منذ أربعة أيام وأنت صديقه الوحيد"..

بدأ صوت حذائه الرياضى يأكل الأرض بجانبى.. تك.. توك.. تك.. توك..

دخلت حجرته.. كان جالسا على الفراش نصف جلسة.. وجهه وساقاه مفرودتان إلى الحائط وظهره إلى الباب.. ناديته مرتين فلم يلتفت.. أغلقت أمه علينا الباب في هدوء مبتعدة فى حزن.. ذقنه لم تمسها الموسى منذ أسبوعين على الأقل.. " لماذا؟ ".. لم يرد ...

ضخخت بقية قوتى إلى ساقي.. رغم العضلات المجهدة ضاعفت سرعتى ليندمج فى الجرى أكثر.. بخار الليل يتسلق مع فراشات رمادية كئيبة لتختنق المصابيح المتباعدة على طول الكورنيش.. تك..توك..تك..توك ..

جلست بجانبه على الفراش وانا أنحى عنه الغطاء المتكوم جانبا.. لمحت دموعا تتزلق فى صمت على جانب أنفه ساحبة خلفها خطا لامعا يتسلل مبللا مابين شفتيه.. بارتجافة خفيفة لفكه السفلى أدركت إصراره على أنه لن يتحدث.. أبدا..

نهش التعب بأظافره وجه الفخذين.. استمر حذائه فى صوت مكتوم يلتهم الطريق مختلطًا بصوت لهاثى.. تك.. توك.. تك.. توك ...

تحركت فى جلستى على الفراش.. قابلته بوجهى " هل تذكر ليالى الجرئ على الكورنيش؟".. ظل صامتا.. سألته " غدا؟ ".. بعد دقائق صمت وبإيماءة خفيفة وافق..

شدَ عضلي أمسك فجأة بالعضلة الخلفية لساقى اليسرى.. انتبهت لشحمتى أذنى وقد اشتعلتا بتدفق الدم.. رئتاى لا تستطيعان اللحاق بلهاثى المتسارع.. مجهدا صحت " لنسترح " وتهاويت لاهثا على أريكة حجرية وقد التصق قميصى بظهرى.. نبضاتى تدق كتفى الأيمن فى عنف.. لم أسمع لهاثه بجانبى..

تك.. توك.. تك..

التفت.. كان لايزال يجرى مبتعدا.. ناديته.. تك.. وقفت.. لم تسمح لى عضلاتى بالتحرك.. تابعت شبحه يبتعد فى انتظام.. تك.. يبتعد.. توك.. تضاءل إلى نقطة صغيرة فى نهاية الطريق ابتلعها الظلام تماما.. توك..توك..توك .

المزرعة

بأصابع مضطربة أشعل سيجارة أخرى..

رغم ذهنه المشتت استمر "صلاح " منكبا بصلعته الأنيقة تلمع تحت نيون الصالة محدقا فى خطوط لوحة التصميم الهندسى..

مازالت الأخبار تتواتر لتراكم من غموض ما يجرى الآن فى شوارع وبيوت المدينة..

تتقافز منال بالريموت فى عصبية بين الفضائيات للامساك بتلابيب خبر يؤكد أو ينفى..

بأصابع ثلاثة ثبت المسطرة حرف T ليشد سقف الدور السابع عشر فى البرج السكنى.. سرعان ما عاد عليه بالممحاة ليزيله..

رسائل التحذير تتوالى على الآيفون الملقى على جانب اللوحة لتطرق رأسه بالنغمات المختلفة للواتس وتوتير..

بجانب عينه تابع كريم – وقد منعه عن الذهاب هو وريم إلى مدرستيهما منذ أكثر من ثلاثة أسابيع بعد تكرار حالات الخطف المتسارعة – غائصا بالبحث على اللاب توب ليصيح فجأة – رأيتهم ياماما..رأيتهم..الفيديو هنا على الفيس بوك .

أسرع إليهم يتابع.. كاميرا موبايل ترتجف من مخبأ خلف كشك كهربائى بشارع هادئ.. عملاقان فى البعيد ظهرا يقتربان وقد فاق طول كل منهما ارتفاع باب المدرسة التى انطلق منها الأطفال خارجا يصرخون ويلقون حقائبهم أرضا مواصلين هروبهم فى اتجاهات مختلفة.. التقط كل منهما طفلين حملهما على كتفيه.. انطلقا يعدوان بصيدهما بعيدا ليختفيا مع استغاثة الأطفال الأربعة ب "باباا " و " ماماااا " فى ضباب نهاية الشارع..

التفتت إليه منال بعينين متسائلتين فى قلق وهي تسحب رشفة من بقايا النسكافيه.. أدار لها ظهره وهو يلتفت عائدا في تردد إلى لوحته وقد تداخلت كل خطوطها في رأسه وتضببت خلف خيوط دخان السيجارة التى اضطر أن يغلق لها نصف عينه اليسرى..

ارتج باب الشقة فجأة بضربات يد كبلطة.. قفز وقلبه يتفجر بالنبض ليؤكد بالمفتاح سكة اضافية وأحكم الترباس.. قبل أن يندفعوا هاربين إلى الغرف الداخلية تفسخت المفصلات الحديدية ليستسلم الباب مفتوحا ضاربا الحائط خلفه فى عنف.. تراجعوا مرتجفين مكومين على أريكة واحدة.. من سحابة الغبار والإسمنت تقدما يقتحمان الصالة وقد خفضا من رأسيهما قليلا تفاديا لاصطدامهما بالسقف.. أفخاذهما كجذوع شجر ضخمة مغلفة بسراويل جلدية سوداء.. الشعر البنى كثيفا يتصاعد فى دوامات على البطن والصدر المتضخم يلف حول كامل العنق الغليظ ساندا أسفل الوجه المثلثى.. تماما كوجه فأر ضخم بلا شوارب.. فردا بين أيديهما أجولة خيش.. بدأ أحدهما باصطياد صلاح أولا.. بضربات متتابعة حاول إبعاد الجوانب الخيشية الخانقة عنه.. ضربتين غاضبتين للجوال بالحائط -إحداهما تمثلت لها مؤخرة رأسه – دفعتاه للاستسلام متقوقعا فى ظلمة الجوال حتى وهو يرتفع به عن الأرض مستقرا على الكتف العالى..

تهادت أصوات الشارع البارد إلى أذنيه..إرتطم والأجولة الأخرى بأرض معدنية..صرير باب ثقيل صدئ ينغلق ليهدر موتور عاليا وتتحرك الأرض ..

أطل برأسه من الجوال بشهيق وسعال متتابعين..تحسس بيده..الأرضية لصندوق عربة مظلم إلا من ضوء مصباح صغير شاحب يرتجف في

السقف كاشفا اشباح الأجولة الثلاثة..الهواء مشبع برائحة عرق آدمى مختلط برائحة دماء من كانوا هنا منذ ساعات..يفتح أعناق الأجولة لتطل تباعا أشباح رؤوس منال وكريم وريم واجمة صامتة يحاولون ابتلاع أكبر قدر من الشهيق..

فى صعوبة تمكن من اعتلاء حواف برميل بلاستيكى نصف مملوء بماء عطن..دس بأنفه وعينيه فى ثقب أعلى جدار الصندوق..لمح ظلال الكثبان الرملية للشاطئ تعبرها أصوات أمواج البحر ورائحة اليود المميزة ممتزجة بهبات الرياح الشتوية الباردة..توازت السيارة مع أسوار حجرية شاهقة تعلوها أسلاك شائكة عليها علامات التحذير من الفولت العالى..اجتازت بهم بوابة ضخمة انغلقت خلفهم بصرير و ارتطام معدنين ..

فى منتصف ساحة واسعة فرملت السيارة بقوة..مال البرميل متداعيا بصلاح إلى أرضية الصندوق قاذفا خلفه بالماء العطن ليبتل بنطاله تماما..

قرقع المزلاج المعدنى.. انفتح باب الصندوق:. زمجر أحدهم مع إشارات تأمر بالنزول..حينما قفز هابطا كانت أمواج البحر خلف الأسوار مازالت ترسل بأصوات تدافعها مع هبات الهواء المضغوط..تراصوا جنبا فى صف..

أخـرج عمـلاق الاسـتقبال مقصا..شـق ملابسـهم تباعـا عـدا السـراويل الداخلية..قاومت منـال بمينـه المشـعرة وهـى تزيح عنها السوتيان..بكف اليسرى هوى على صدغها فانصاعت تماما..

من عنبر على واجهته بخط عريض " الحجر الصحى " خرج عملاق في بالطو أصفر..عينة من الدم سحبها من ذراع كل منهم..ضخها فى أنبوب يعتلى قاعدة جهاز ديجتال أباح بنتائج رقميه فى تتابع ..ختم على ظهورهم بالخلو من الفيروسات الكبدية والايدز..

تحـرك الصـف خلـف العمـلاق مجتـازا بهـم البوابـة الضـخمة لعنبـر التسمين..لمح صلاح على بوابته وهم يجتازونها لوحة لرجل عار سمين يتحسـس كرشـه بابتسـامة شبع .. أرض واسعة مسقوفة تتراص علـى جانبيها عشرات من الأقفاص الحديديـة الممتلئـة كل منها بشـخص.. العيون والهمهمات من داخل الأقفاص تتبعهم وهم يتحركون فى الممر الفاصل بينهم.. "صلاح ".. "صلاح ".. خيل إليه أنه سمع اسمه قادما مـن داخـل إحـدى الأقفـاص.. قريـب لـه ؟..جـار ؟..صـديق عمـل ؟..تلفت.. لم يتبين فى الإضاءة الخافتة ملامح الوجوه..

الهواء مضمخ بأمونيا البول.. داسوا بأقدامهم الحافيـة علـى الأرض بقايا أرز مسلوق وقشر بطيخ.. أمام الأقفاص رصت أنصاف براميل معدنيـة مشقوقة طوليا وقد جفت علـى جوانبها بقايا المياه المخلوطـة بصلصة بينما استقر فى القاع ماتبقى من حبات كوسه كاملة وفاصوليا

بيضـاء.. لمح عملاقا قادما من بطن العنبر بوجه الفأر المثلث وعلى ذراعه كومة من الخبز يلقى بواحد منها أمام كل قفص.. تمتد من بين القضبان أيدى وأذرع بعضها مشعر وبعضها أملس ناعم شاهق البياض وأخرى طفولية قصيرة لتلتقط جميعها الخبز فى بطء مستسلم حزين..

أمام قفص فارغ توقف بهم العملاق.. أخرج من جيب بنطاله الجلدى شريط قياس.. دار به حول ذراع كل منهم وفخذه وخصره.. فتح باب القفص دافعا كريم بداخله وهو يصرخ " بابا.. بابا ".. أوصد الباب مع سكة القفل.. كان سقف القفص منخفضا فدار كريم حول نفسه دورتين مذعورتين محاولا اكتشاف ما بداخل قفصه.. حاول صلاح تهدئته.. أشارت له منال بأن يقعى جالسا حتى لا يتألم ظهره من استمراره في الانحناء.. وهو يجلس باكيا لاحظ إلى جواره كومة من خراء آدمى لساكن القفص السابق فتقيأ..

أزاحتهم جانبا فجأة يد ضخمة لعملاق كانت سترته الجلدية ناضحة ببقع دم..من حزامه يتدلى ساطور..فتح العملاق الجزار القفص المجاور لكريم..أمسك بتلابيب من بداخله يسحبه خارجا..كان سمينا عاريا فى بداية الأربعينيات يبدو من هيئته أنه معلم بمدرسة..بقضبان القفص تشبث السمين بيديه..شده الجزار بقوة مضاعفة..دفع السمين بقدميه ليزيد من مقاومته صارخا فى رعب حتى أنهم سمعوا ضراطه يتتابع فى اللحظة التى خلصه فيها العملاق الجزار من ثنايا القفص

الذى سقط على جانبه مرتكزا بارتطام معدنى على قفص كريم..رفع الجزار السمين على كتفه وانطلق يعدو به خارجا من باب العنبر ..

تحرك العملاق بثلاثتهم عائدا إلى الساحة.. لمحوا امرأة تعدو هاربة من عنبر الحليب.. أمسك بشعرها عملاق كان يتابعها.. جرها من كلتا يديها على الأرض عائدا بها إلى العنبر.. تابعوها عند الباب مشدوهين.. رائحة الحلبة المغلية والمغات تهب زيتية ثقيلة من الداخل.. أجلسها العملاق على مقعد من بين خمسة مقاعد.. بسيور جلدية شد ذراعيها إلى خطاطيف صغيرة مثبتة إلى الحائط في الخلف ليبرز الثديين الممتلئين أماما .. مسح عليهما بيديه وهو يربت على كتفها لتهدأ وتدر اللبن.. بممصان مطاطيان غطى حلمتيها.. ضغط زرا فارتفع صوت كمبريسور شفط.. خلال أنابيب شفافة انساب الحليب إلى جركن سعة ٢٠ لترا ملصق عليه بخط عريض " لبن المزرعة.. لبن بشرى كامل الدسم "وبخط أصغراشارة إلى تاريخى الإنتاج وانتهاء الصلاحية..

زمجر العملاق يدفعهما لمواصلة التحرك..طلبت ريم للمرة الثالثة حماما..لم يجد صلاح جوابا..لمح الماء مصفرا ينساب من بين فخذيها ليطرطش على الأرض وهى تخفى وجهها بكفيها..

استمرا لخطوات ليتوقف بهم أمام باب "عنبر التخصيب"..أدار فيه مفتاحا ضخما وجر ضلفته خارجا..أطل من ظلمة الداخل خمسة رجال

عراة لهم أجساد أبطال كمال الأجسام يتقدمهم زنجى ..لمح صلاح بين أقدامهم الحافية تتناثر بقايا قشر جمبرى وعظام سمك وعلب فياجرا فارغة..قضبانهم ضخمة ما بين منتصبة تهتز فى انتظار الأنثى وأخرى نصف منتصبة قد انتهت من مهمتها لتوها وتقطر بمنى..من بطن العنبر توالت صرخات أنثى تفصلها لحظات صمت ممزوجة بأنين يتبعه بكاء ونشيج ..أسندت منال رأسها على كتفه اليسرى محاولة التقيؤ دون جدوى..

أمسك العملاق بذراعيها ليسحبها داخلا إلى الزنجى..مستميتة تشبثت بيد صلاح..فى عنوة فصل بين كفيهما مزمجرا..دفع بها إلى الزنجى فالتقطها مواربا الباب بقدمه لكنه انفتح بعنف ثانية مع صرخات منال ومقاومتها.. أدار الزنجى ظهرها إليه بينما أخذ آخر رأسها إلى أسفل فى وضع ركوع.. شد الزنجى سروالها الداخلى إلى ما تحت ركبتيها وأعاد ترتيب وقفته خلفها ثانية فى وضع مناسب.. أشاح صلاح بوجهه وجذب ريم من يدها يتبعان العملاق وقد أحكم اغلاق الباب بالمفتاح ثانية..

كان طنين صرخات منال وعضلات صدر الزنجى مازالت تملأ رأسه حتى أنه لم يقرأ التعليمات المكتوبة على جدار عنبر الرضع تحدد لكل امرأة ٩ أشهر مع شهر واحد للراحة الفاصلة لتعود ثانية لمواصلة الإنتاج..

من باب العنبر خرج عملاق صندوق صغيرا يرفس بداخله أربعة رضع عراة ناوله لعملاق أخر فنفحه قطعتين من فضة وانصرف بهم مبتهجا..

أمام عنبر خط عليه " المقضب "وقف بهما دافعا صلاح إلى ذيل طابور المنتظرين فى ترقب ورعب صامتين..تقدم آخر ساحبا ريم التى لم تقاوم وانطلق بها مبتعدا..

تابع صلاح الذبائح تخرج تباعا على عربات خشبية وقد تقطعت أوصال بعضها وسلخ عنها الجلد بينما بقى البعض ذبيحة كاملة لمح بينها الرجل السمين وذبيحته ممددة تترجرج على ظهر العربة الخشبية مع قرقعة عجلاتها.. فى انتظار الذبائح كانت هناك سيارة ميكروباص لمطعم على جانبها صورة ضخمة لصينية من حبات الفول المسلوق تتصاعد منها الأبخرة تعلوها فخذة آدمية مكتنزة مشوية شواء فحم بينما يتابع الوليمة فى الصورة عملاق وإبنه وقد فغرا فاهاهما يرمقان الصينية فى سعادة أسرية بالغة..

خطوتين تحركهما الطابور إلى الداخل..

الهواء مضمخ برائحة الدم وأبخرة اللحم المذبوح لتوه..ذباب أزرق يطن صاعدا فى أقواس هابطا بلسعات على الأذرع و الأعناق..

لمح صلاح أمام الطابور مجسم حديدي فارغ لإنسان بدون رأس أشبه ببدلة محارب من العصور الوسطى..بضربة واحدة من سوط دفع عملاق شابا يبدو عليه أنه كان على وشك التخرج لتوه من الجامعة هذا العام..تحرك الشاب يئن مرتعدا..حاول التراجع في رجاء ..ارتفع السوط فى الهواء ثانية فعاود سيره المضطرب ليستقر بكامل جسده واقفا داخل المجسم الذى كان مفتوحا على مصراعيه..ضغط عملاق المجزر على زر لينغلق نصفى المجسم بارتطام معدنى..مضطرا استقام الشاب فى وقفته ليظهر أطول مما كان عليه مرسلا رأسه خارج المجسم..يتلفت بها مشدوها..حرك العملاق زرا إلى اسفل..فى ومضة كهربائية خاطفة برق من مكمنه حول الرقبة نصل دائرى لامع جز كامل الرقبة قاذفا بنصفها يعلوه الرأس إلى الأرض لتتدحرج مع أنة هامسة فى دورتين مستقرة فى النهاية على احدى جانبيها وقد جزت على أسنانها ..انبثقت نافورة الدم إلى أعلى فى دفقات متتابعة لتسيل على الأرض المائلة تسعى نحو قناة أسمنتية تنتهى بها إلى بالوعة ضخمة..التفت صلاح إلى الواقف خلفه يتابع مشدوها غير مستعد للإجابة ولو بالعين..

انفتح مصراعى المجسم الحديدى ليتلقف العملاق الجسد دون الرأس قاذفا بها إلى منضدة يسرسع فوقها منشار كهربائى يهبط به على الجسد طوليا ليشقه فى ثوان..ينزع الكبد راميا به أعلى كومة من أكباد يرصها عملاق آخر فى قفص يشبه عشرات الأقفاص المبردة فى

ثلاجة خلفهما وقد تنوعت البيانات عليها بين أقفاص للكبد وأخرى لأثداء طازجة جاهزة للحشو والشى ..تابع ماكينة فرم ضخمة يلقى إليها ببقايا الجلد المسلوخ مع قطع مهترئة من اللحم معبئة أسفلها أجولة بلاستيكية سعة ١٠ كيلوجرامات بلحم مفروم ..

وخز العملاق صلاح فى ظهره بيد السوط فتحرك.. أطبق المجسم مصراعيه فدفع المسطح الحديدى ظهره أماما ليعتدل واقفا.. حاول تحريك يديه.. فاجأه أنهما تتحركان فى حرية.. ساقيه أيضا.. اضطربت الفرحة فى عروقه.. كابوس ؟..مجرد كابوس ؟.. بحث بيده عن أطراف قميص نوم منال بجانبه ليشدها منه ويوقظها.. أو لتوقظه.. أقواس الذباب الأزرق تطن فوق رأسه ينتظر راجيا لسعاته ليصحو.... لمح العملاق يحرك الزر الكهربائى.. فى صوت مبحوح نادى منال مرتين.. ضرب بيديه يصرخ عليها ان تستيقظ وتوقظه دون جدوى.. استمر وهو يجز على أسنانه يرمق مشدوها النصل الدائرى وهو يلمع مستعدا للخروج بالومضة الكهربائية الخاطفة.

تربص

تماما.. على طرف الفص الأيمن من الكبد.. الخلايا الغريبة.. الزرقاء.. النشطة.. استمرت فى تصميم تغزل من خلفها مزيدا من التليف.. الخلايا الغريبة.. الزرقاء.. النشطة.. تلتف فى خبث حول خلية أخرى.. تكممها.. تخنقها تماما.. فتشحب.. وتتهدل حوافها وقد تيبس ما يملأها من سيتوبلازم..

خشخشت أعواد الذرة وهو يباعد بين كيزانها المبللة بندى الفجر مطلا بالفوهة المزدوجة – أم روحين – لبندقيته الموسين الروسى العتيدة.. من جيب سيالته أخرج الرصاصات يحشو بها الخزانة المعقوفة.. يدور بميزان التنشين فى فدان القطن المجاور.. توقف تماما عند منتصف صلعة جابر.. كان هابطا بها يتفحص شيئا ما على أوراق القطن.. انتظر بعينى صقر جائع صعودها وعودتها إلى مركز الميزان ...

واحدة من الخلايا الغريبة.. الزرقاء.. النشطة.. تقفز إلى جدار المعدة.. تدق أوتادا.. تشد خيمة.. تبدأ الخلايا حولها فى الشحوب.. شلال من الحمض يبدأ في الانسياب من ثنايا بطانة المعدة..

أحس بالحموضة تهاجمه..بصق في صمت ..لا.. لم يهرم بعد.. مازالت سبابته على الزناد ثابتة.. أكثر ثباتا من الأعوام الفائتة.. مازال قادرا فى ليل المغارة.. بين كل المطاريد.. أن يهشم كوب الشاى بين إصبعيه.. مازالت يده الأعلى سعرا.. لو كان للباكوين المستقرين فى جيب سيالته منذ البارحة أن ينطقا لشهدا له بذلك.. رصاصته الوحيدة بين المطاريد التى لا تحتاج لتأكيدها بأخرى ...

خلية جريئة تطلق صافرتها من داخل المخ.. تؤكد للبقية أنها تسلقته فعلا.. بل وتمكنت من خنق أولى خلايا مركز الاتزان.. التفتت الأخريات اليها.. تحفزن للتسلق ممسكات بتلابيب الحبل الشوكى ...

قرش من الأفيون كاف للتخلص من دوار الرأس هذا.. وعده الحاج أمين بباكو ثالث بعد أن يجيئه بخبر جابر الذي اشتكاه فى المركز لأنه نقل الجسر داخل أرضه خمسة أشبار بطول الفدان.. الحاج أمين صادق فى وعده.. جربه مرتين من قبل.. وعموما.. إما الباكو.. وإما رصاصة فى مغربية الغد تنطلق من داخل القطن لتشق طريقها بين أعواد الذرة لتصفى الحساب ...

الخلايا الزرقاء الغريبة النشطة تتقسم فى نهم.. فى جنون.. تشحب تحتها خلايا المخ مستسلمة ...

شدد من ربط عمامته على رأسه.. الدوار يزداد.. يخالطه صداع.. ببقايا تركيزه أحكم التصويب..تك.. ساخنة وكالبرق لامست أذن جابر الذي التفت مذهولا..تك.. تك.. انبثقت نافورة دم وسط مقدمة الصلعة.. شقت الفضاء الأخضر بدفقات حمراء متتابعة.. طرطشت على أوراق القطن لتسيل من أطرافها بخيط رفيع متقطع.. انهبد جابر بثقله وذراعيه المفرودتين على الأرض.. استمرت النافورة الحمراء تضرب طين الجسر بهسيس مرعب تتابعها من عينى جابرالتى لم تعد ترمش إلى الأبد نظرة رعب و ما تجاوز الألم..اقترب عصفور ليحط على صدره لثواني قبل أن ينتبه إلى أن الصدر جامد بارد هرب منه النبض فضرب بجناحيه مبتعدا إلى أعلى شجرة توت فى الأفق البعيد..

نظمت الخلايا نفسها مؤكدة فيما بينها أن أياما ثلاثة كافية لإنهاء المهمة.. تمكنت احدى المجموعات تماما من الغزو الكامل لأطراف فص الكبد..

خرج يتلفت مهرولا من بين أعواد الذرة.. ضاربا يده على جيب سيالته المثقل.. متحسسا ألما خفيفا فى جانبه الأيمن.. مؤكدا لنفسه ولفوهة بندقيته "الموسين" المطلة من جيب سيالته بفوهتها المزدوجة أنه ليس فى هذه الدنيا ما هو أسهل من احتراف الموت ...

فى النهر

استمر آذان الفجر ينسحب ممطوطا.. مختبئا بين الغمام..

كان سطح الماء البارد.. المتلاطم في اضطراب مكتوم.. قد نجح لتوه فى تخليص جثة المرأة التى احتجزها منذ بداية الليل زحام من ورد النيل يرافقها قطعة من خشب ونصف جردل بلاستيكى أخضر..

تهادت الجثة في طفوها ثانية مع التيار..

الوجه منكفئ داخل الماء وقد غاب معظمه بين تموجاته.. الذراعان مفرودتان فى تقاطع صليبى مع الجسم وقد انحسرت عنهما أكمام البلوزة الصفراء يلتصق بباطن ياقتها ماركة عالمية.. الفتحة الضيقة للجيبة السوداء تسمح لساقيها بانفراجه بسيطة.. بالرأس الصلعاء تماما تشبثت شعيرات سوداء متفرقة ...

خمش النهار عتمة الأفق.. تراجع الصدى الغليظ لنقيق الضفادع واحدا إثر آخر.. انطلقت جموع العصافير بزقزقات حادة متفرقة تمس سطح الماء فى طيرانها.. طاف واحد منها أعلى الجثة الطافية.. استقر هابطا على ظهرها.. تقافز مرتين على الكتف الأيسر وهو يميل برأسه متأملا.. التقط واحدا من النباتات التى علقت أشواكها المدببة بجانب البلوزة.. فى ريبة وصمت انطلق ثانية يضرب بجناحيه مبتعدا إلى أعلى يلاحق البقية ...

اصطدمت إحدى الذراعين المفرودتين بالجانب السفلى لقارب صيد صغير.. يتماوج رتيبا وقد غطى ما يلامس الماء من جوانبه زغب كثيف من ريم أخضر.. يتردد فى أعماقه شخير صياد اعتاد صيد الليل.. فى بطء دارت الجثة حول نفسها دائرة لم تكتمل.. أخذت الرأس اتجاهها صوب الشاطئ..

قطع واحد من الفلاحين تثاؤبه ليدس حبة من الجميز المنتفخ بالحلاوة التقطها لتوه من فرع تدلى مكتنزا ..بباطن كفيه فرك عينيه..بقدمه الحافية المترددة داس إحدى لفائف الخس المنداة المصفوفة على طول القيراطين..نعق غراب يعلو شجرة قريبة..بصوت مبحوح نادى الآخر الذى كان قد كف بالفعل عن متابعة وضوئه على جانب النهر ووقف يتابع مشدوها وهو يمسح كفيه المبللتين بطيئا على جانبى جلبابه ..استمرت الجثة تقترب طافية فى هدوء واصرار..قبل أن يسأل كلاهما

الآخر إن كان يرى ما يراه كانت الحقيقة قد استقرت تتماوج طافية تحت أقدامهما تماما ..لابد من عمل إزاء تلك المصيبة التى رماها لهما هذا الصباح الشتوى..استقر رأيهما بعد تشاور بالعيون بأنها الفرصة .. سيعز تكرارها للانتقام من عزبة أبو اسماعيل بعد عركة المولد الأسبوع الماضى..والتى فيها سال الدم واندعكت الوجوه بالتراب وقش الجرن ..تسللا يخوضان فى الماء فرفع جلبابيهما وفردهما بموازاة صدريهما..تحركت الأذرع الأربعة متماوجة من أسفل تسلم الجثة في هدوء لاتجاه التيار ...

تركت الجثة وراء ساقيها عزبتين.. خشخشت تجمعات الغاب على شاطئ العزبة الثالثة تُباعد بينها ذراعان قويتان لشاب امتدتا تضمانها إلى الجرف.. هدأت نبضات قلبه.. فكر أن يرفعها.. أن ينادى الناس.. لمعت بين أنامل يدها اليسرى دبلة ذهبية.. تلفت.. كشف آخر الغيطان.... بسرعة استقرت الدبلة فى جيب جلبابه وهو يمسح ما علق بحوافها من نتف الجلد.. ملابسها المبتلة..المشدودة.. تمنح ظهرها كل المنحنيات الأنثوية.. هاجسه أن يرفع ذيل جبيتها..أن يكشف لون ملابسها الداخلية.. وأن يرى حواف ردفيها.. لكم يعذبانه بتماوجهما كلما نزل شوارع المدينة.. بإصرار مفاجئ.. وبأقصى مافى ساقيه دفعها.. تحركت طافية لتبتعد من جديد.. قبل أن تختفي عن ناظريه تماما أحس بأن فرصة ما قد مضت لمجامعة امرأة...

ملأت الشمس النهر.. خرج قرموط برأسه الضخمة.. السوداء.. المستطيلة.. يتابع بجانب عينه سير الجثة.. بشواربه الطويلة اقترب يتحسس زرقة الوجه.. الجبهة التى سقط عنها حاجباها منذ يومين.. فى تردد استدار.. بقرار حاسم طرطش له الماء مضى مسرعا يضرب بذيله العريض ناحية القاع...

اقتربت الجثة تماما من شاطئ المركز.. هرولت قدمى أحد المخبرين ناحية المكتب بالبلاغ.. انتفض المأمور يضرب بكفيه على كومة القضايا المرصوصة والتي يستطيع الأعمى أن يراها على جانب مكتبه فانسكب كوب الشاي وهو يزعق فيه بأن يتصرف.. بعد دقائق.. كانت العصا الغليظة للمخبر تدفعها إلى وسط الماء.. دارت حول نفسها.. تلاطمت تحتها موجتان متعاكستان رفعاها إلى أعلى.. في هدوء عادت تطفو عائدة إلى وسط النهر ...

قبل أن تغيب الشمس بدقائق اصطدمت الجثة بأحراش من الغاب.. تخللتها.. استقرت بداخلها تماما.. بعيدا عن كل العيون.. انفصلت فجأة كتلة من اللحم كانت تتدلى من كعبها.. تماوجت فى هبوطها ناحية القاع الذي كان يستعد لاستقبال ما سيتساقط إليه تباعا ...

قطة رمادية مبقعة بالأسود

من غرفة النوم البعيدة تتهادى تلاوة" عبد الباسط عبد الصمد ".. استيقظت من إغفاءتها جالسة على السجادة التى اشترتها منذ عشر سنوات في الأوكازيون تفرش كامل الصالة..تتنفس عميقا بشهيق تطرد به بقايا الأحلام و زفير تتعوذ خلاله من الشيطان الرجيم ..

تتكئ بكفها المنتفخ على بطن كرسى الأنتريه.. تهم بجسدها الثقيل لتقف.. ترتكز على كعب اليمنى الخال من ترسبات الأملاح.. بسرعة تدوس بجانب اليسرى فتتزن وقفتها.. سوت ماتكرمش من الغطاء الجبردين للكرسى .. من تحت منضدة الشاى الصغيرة تهادت القطة الرمادية المبقعة بالأسود.. إلى جانب دولاب التليفزيون المطفأ تمددت القطة تتثاءب..

" صارخة: ماهو طبعا لازم نتخانق كل يوم.. وآخرتها هتطلقنى.. عشان تصدقنى ان مامتك كاتبه لنا ياحسام ."

لملمت بقايا الصباح من باذنجان مخلل وفتافيت خبز على صينية الشاى .. فى ارتطام معدنى ألقت بها إلى جانب حوض المطبخ.. أسرع صرصور هابطا من على ظهر السخان صدئ الجوانب.. لاحقه آخر شارعا شواربه الطويلة..

" الشيخ فرحات قال لماما على اسم تنت.. والعمل كان مدفون تحت شجرة فى بنها.. أنا عارفه انها ماكانش لها مزاج لجوازتنا دى "..

- على فكره ياماما .. علياء مريحانى .. ومش هطلقها
- طلاق إيه ياابنى بعد الشر؟
- أنا مش هوضح أكتر من كده
- خصيمك النبى لتفهمنى ياحسام.. فيه ايه؟
- مش هتكلم .. وراجعى نفسك

جرس الباب المحترق منذ شهور يئز.. الترابيس الثلاثة تفتح فى تتابع رخيم..

واربت " أم أيمن " الباب ورائها دون أن تغلقه وجلست إلى كرسى الآنتريه خلفه.. تهادت متثاقلة صوب " عبد الباسط عبد الصمد " وعادت بسرنجة بلاستيكية مغلفة وأمبول فيتامين " ب "الزيتى

الاحمرار.. خرفشت أم أيمن تفتح غلاف السرنجة و " طك " هشمت بها رأس الأمبول و " زئ ئ ئ" ارتشفت بها آخر نقطة من قعره..

أدارتْ لها ظهرها رافعة من الجلباب طرفه.. أحست مع البسملة المتكررة بدعكة قطن سريعة تمنت لو أنها طالت قبل تلك اللسعة الزيتية الحارقة..

" ماما.. أنا عاوز أتجوز علياء "

بينما أم أيمن تلتقط من يدها الخمسة جنيهات تساءلت: أمال فين الدلعدى الدكتور حسام.. لا شفته لا هو ولا عياله دخلوا لك بيت من كام شهر؟

وهي تغلق الباب خلفها تمتمت: الدنيا تلاهى يا أم أيمن.

لم تصارح أحدا.. حتى أختها الحاجة نوال.. حتى زينب جارة العمر وحافظة أسرارها.. لو صدقها أحدهم.. الآخر سيشك.. ستتلقفها الألسن.. كيف تثبت أو تنفى ما شواهده فقط فى عالم الجن.. سينتهى بها الأمر معزولة فى أقصى ركن بالدنيا بأنها "بتاعة أعمال ".. لو خرج من عندها أحد الزائرين مزكوما فكيف تدفع عن نفسها؟ ..

التقطت القطة الغلاف البلاستيكي للسرنجة وتعالت خرفشتها حتى الشجار..

" حاولى ياحبيبتى بعد ماترضعى حسام تطبطبى على ضهره كده لغاية ما يقشط وبعدها نيميه على بطنه "

خرفش " عبد الباسط " وصوت موسيقى برنامج " إلى ربات البيوت " يحاول إزاحته.. ضبطت المؤشر لتفض شجار الموجات المتداخلة.. عاود " عبد الباسط " العروج إلى الجنة يحمل منها ويلقى اليها فتلقف.. يعرج ويعود فتلقف..

رفعت سماعة التليفون الذي لم يرن منذ أسابيع.. تأكدت من سريان الحرارة.. أعادته ثانية..

- أنا ماعدتش داخل لك بيت ولاحتى هتكلم فى التليفون دا تانى لغاية ماالشيخ فرحات يقول لحماتى إنك بطلتى تروحى الكنيسة.. وللمشايخ..
- كنيسة إيه بس ومشايخ إ......؟
- تيت تيت تيت تيت

- انت جايب لحسام شوكولاته بجوز الهند ؟.. ماانت عارف انه مابيحبهاش الا باللمون.
- حاضر.. هنزل أغيرها.. أصلك فاسداه.
- دا الواد الحيله.. ربنا يخليك ليه.

تمسح الظهر الزجاجى للبوفيه بفوطة مبلولة.. تنتبه إلى شرخ جديد يتفرع من تحت الورق اللاصق لأطراف الشرخ القديم.. ترفع بصرها إلى البرواز المعلق.. حسام على ذراع أبيه وقد التفت بجزعه وعلى صدر قميصه الأصفر بطوط يراقص زيزى..

المصورفى استوديو " الأهرامات " يرجوه أن يفك زم شفتيه.. وأن يضحك للصورة.. شوح حسام بيده: ماما قالت لى إن الضحك من غير سبب قلة أدب.. انفجر الجميع ضاحكا.. فمنح حسام للكاميرا تلك الضحكة الخفيفة ...

ارتعشت ابتسامتها وسلمتها إلى ضحكة قصيرة مبتورة.. شرعت القطة إليها بعينيها تلمعان.. أخرجت من درج البوفيه قطعة من شكولاتة الليمون.. مدتها إلى القطة.. التقطتها.. رفعت وجهها المستدير تموء بضحكة خفيفة..

إعادة التحقيق حول مقتل كليبر

كادت النار تخبو فى ركنها من المغارة..

بحكم أنه أصغر الثلاثة سنا أسرع سليمان الحلبي ناحية كومة من جذوع الأشجار.. كسر بعضها على ركبته.. ألقمها النار فاتقدت ثانية وعادت بألسنتها تطقطق شرارات برتقالية تتابع مطاردة البرد والظلام...

كان عمر المختار فى ركنه من المغارة بأعوامه السبعين وقد تكلل ببياض طاقيته ولحيته وشاربه جالسا إلى كومة من السلاسل المعدنية.. يحكم بكلابة صدئة إغلاق حلقاتها.. فقد اتفق والمجاهدون على ربط سيقانهم بهذه السلاسل إلى بعضها.. وألا يتراجعوا شبرا واحدا فى مواجهة جنود "جرازيانى " ومصفحاتهم.. مقدرا وصولهم إلى الجبل الأخضر ظهيرة بعد الغد على أقصى تقدير...

عاد سليمان للجلوس مكانه يحرك داخل النار سيخا حديديا أوشكت مقدمته المفلطحة على الاحمرار.. التفت ثانية إلى الضمادة المضمخة بالدم تغطى جرحا غائرا لرصاصة أسفل ركبة الشيخ "عز الدين القسام" مشمرا عنها قفطانه الأزهرى فى انتظار السيخ الملتهب وقد انشغل بعصى صغيرة فى يده ينكت بها فى الأرض طرقا وتقاطعات ومخابئ بين الجبال هارسا بين أسنانه أسماءً عبرية...

ترك سليمان السيخ للنار وأخرج من طيات ملابسه خنجرا.. تابع سن وجهيه على طرف حجر صلد.. التفت إليه عمر المختار- تخطيطك جيد ياسليمان.. لكن ما سيتغير أنك ستتسلل إلى كليبر فى حديقة منزله بالأوزبكية.. ستتنكر فى هيئة شحاذ.. فاذا ما مد كليبر يده شددته إلى خنجرك لتبقر بطنه ثلاثا.. أنا قرأت تاريخك جيدا يابنى.

دون أن يلتفت استمر في السن - سأطعنه وسط جحافل عسكره.. هو أذل المصريين الأسبوع الماضي.. حرقهم فى غرف بيوتهم.. بعدها امتطى صهوة فرسه فى خيلاء من بولاق إلى باب اللوق.. كانت الطبول تدق له عاليا وهو ينظر للجميع من عل.

بيديه ووجهه ولحيته البيضاء عاد المختار إلى السلاسل المعدنية.. تراوده مع كل حلقة يغلقها وجوه لأطفال المجاهدين وأراملهم.. فى إصرار يستمر.. صليل السلاسل تتكوم وراء يده لها وقع قوى رهيب لايتناسب وسعاله المستمر...

منذ ساعة.. حاول الثلاثة تحديد أى جبل يحوي فى أحشاءه هذه المغارة الملتقى.. الجبل الأخضر ؟إحدى جبال يافا؟.. جبل المقطم ؟..فى النهاية طرحوا السؤال جانبا واستمر كل منهم يستعد لعملية الغد..

فجأة ...ظهر لاهثا كشبح متوسطا مدخل المغارة.. يرتدى بدلة برتقالية يتصدرها رقمه الرباعى كسجين.. قبل أن يبادر كل منهم بالتقاط سلاحه صاح مطمئنا – عراقى هارب.. سجن أبو غريب.

وهو يرتشف الشاى الأخضر من قعر إناء فخارى مكسور مرتكزا بظهره على احدى جدران المغارة يحكى كيف أن مجموعة من العراقيين هاجموا دورية الحراسة الأمريكية.. وكيف أنه استغل البلبلة وغافلهم هاربا من بين نقطتى حراسة على سور السجن.. وأنه أثناء عدوه في الصحراء اجتاز فجوة بين الحلم والحقيقة ليتفاجأ بنفسه هنا.. على باب هذه المغارة..

وهم يتابعون حديثه كانت ملامح ثلاثتهم تتغير.. تتيبس.. تنتفخ.. تختلط.. أقسم لهم أنها حقيقة.. نعم.. بلد عربى التهم بلدا عربيا آخر.. وأنها بلاد عربية تلك التى قدمت أراضيها لأحذية ومصفحات دول أجنبية لتلتهم بلدا عربيا آخر..

انتبه عز الدين القسام إلى الألم أسفل الضمادة تحت ركبته فأسدل عليها أطراف قفطانه وهو يتساءل فى وجل – وفلسطين؟

ضحك البرتقالى فى مرارة.. حادثهم عن كامب ديفيد.. ومدريد.. وشرم الشيخ.. والتطبيع.. تمزق سوريا وليبيا.. وكيف أن الجميع يتسلى بتقشير السودانى ومتابعة الذبح وهرس عظام الأطفال هناك حصريا على الفضائيات...

كان المختار شاردا.. بدأت الكلابة الصدئة فى يده تتخطى حلقات مفتوحة فى السلاسل.. تاركا أباءا أحياءا لأطفالهم..

بدأ عز الدين القسام فى محو أكثر الخطوط التى نكتها على الأرض بعناية رادا بكفه المفرودة يد سليمان بالسيخ الملتهب..

تمدد البرتقالى يستريح وعلى شفتيه تنسحب بقايا ابتسامة مريرة..

عاود سليمان مكانه جالسا راميا ببصره إلى النار.. لم يلقمها مزيدا من الخشب فهبطت على رمادها المتقد تأكله وقد هربت من السنتها مطقطقة آخر دفقة من الشرر.. اجتاحت يمينه رعشة سقط لها الخنجر على جانبه فى صوت مكتوم وقد انطفأ بداخله ناحية كلبير ما كان مشتعلا...

صندوق

واثقة بأنه سمعها وهى تناديه..لم يلتفت برأسه التى حلقوها له "زيرو "..اختفى مع ذيل الطابور الأزرق داخل جوف الصندوق المعدنى الضخم..وهو يدفع آخرهم فى ظهره بكلتا يديه أحكم الشاويش إغلاق الباب خلفهم..فى فتحتى المزلاج الضخم ثبت قفلا ثقيلا..بصوته الأجش أقام حاجزا آخر " أدخل جوه ياله منك له "..

أطلت على الشارع من ظلمة الصندوق وجوه تتقاطع على ملامحها البعيدة شبكات السلك الحديدى للنوافذ الصغيرة..دورتين حول الصندوق تغالب بعينيها وهج الشمس وترفعهما بحثا عن وجهه..بح تكرارها لاسمه الممطوط حنجرتها..الحناجر حولها ترمى هى الأخرى بأسماء ممطوطة وأسئلة متسارعة تختلط مبتورة فى الاتجاهين عن العيال وكيف يأكل ودواء السكر والضغط و " أمى صحتها عاملة ايه ؟ " وأتعاب المحامين و " خللى بالك من نفسك انت بس يا أخويا "..

عندما رجوا الباب فى الفجر بكعوب البنادق أدركت أن الوقت قد حان..وأن هروبه منذ سبعة أشهر من دفع أقساط قرض الصندوق الاجتماعى قد وضع له المخبرون نهاية..كانت أكفهم الغليظة تأخذ بالمجامع المهتكة لفانلته الداخلية المطفأة البياض..حاولت كثيرا ان تعيد بالكلور الى البياض بهائة فأكلها الكلور بين الكتفين ليتسع الفتق وهم يسحبونه منها ليمضى معهم فى صمت..حتى الشبشب لم يستطع أن يلتقط الا فردة واحده بابهام قدمه اليسرى بينما انقلبت الفردة الأخرى على ظهرها فى استسلام..

تقافز البعض على الإطارات الضخمة.. تشبثوا بحواف الصندوق..حشروا أطراف أصابعهم فى مربعات السلك الضيقة..على درجات السلم الخلفى كان الشاويش البدين يتصبب عرقا .. يهش بعصا طويلة من يحاولون الاندفاع والصعود إلى النافذة الكبيرة..فرادى من كان يسمح لهم..ارتفعت علب السجائر الحمراء والبيضاء الملفوفة بسلوفان ينتظر الفض وساندويتشات الكبدة الساخنة الملفوفة بإحكام ليلتقطها الشاويش من أعلى زحام الأذرع والرؤوس و يدسها فى جيبه الميرى الواسع...

أسرعت إلى كشك مجاور لسور المحكمة..قذفها العجوز العصبى بالباقى حلوى ليمون رغم الفكة المتناثرة تحت يده..ضمتها إلى علبة السجائر المارلبورو وأخذت لذراعها الممتدة دورا..

احتدت فجأة الأصوات والحركات التدافعية بعد أن أوشك الضابط على الخروج من المحكمة لينصرف بهم..أكد ذلك موتور السيارة الذى بدأ فى الدوران هادرا بتكتكة صدئة وسير مروحة يصرخ بسرسعة تنبئ أنه سيتمزق فى أى لحظة..مدت يدها بالمارلبورو والحلوى و " خد والنبى ربنا يخليهم لك "..التقطها الشاويش وهو يضرب بالعصا رأس عجوز حاول أن يستغل صعودها على السلم ليصعد خلفها..

دست أنفها ولهاثها وقلبها بين قضبان النافذة..شبحه جالسا فى الظلام عند نهاية الدكة الخشبية آخذا وجهه بين كفيه.." صبحى..ياصبحى "..ببطء التفت إليها للحظة ثم عاد بوجهه مطرقا..اجتاحتها رغبة مفاجئة بأن لا يتكلم..لن تتحمل اهتزاز كتفيه بالبكاء وسط كل هؤلاء الرجال الزرق المتزاحمين داخل ظلمة الصندوق..أعاد وجهه إلى كفيه..أعطت ظهرها إلى قضبان النافذة..

حذرته يوم أن قرر بيع ماكينة التريكو التى وقع لهم عليها..حذرته رغم أنه لم يكن هناك سبيل آخر لإتمام زواجهما ورغم تأكيداته بأنه سوف يدبر الأمر قبل الحين..

لمحت الضابط خارجا من باب المحكمة..تحت إبطه دوسيها ورقيا كالحا..وخلفه عسكرى ضخم يفض بعصاه الزحام..زمجرت السيارة وهى تبدأ فى التحرك تهش الواقفين..أسرعت بنزول السلم..قفزت

إلـى الأسفلت المتحرك تحت قدميها مستندة بكلتا يديها علـى الهواء متفاديـة الانكبـاب علـى الوجه..بـدأت السيارة فـى الابتعاد..اسـتدارت تتابعها وهى تتحسس بطنها بكفيها محاولة حساب الأشهر المتبقية .

جلجل

قلبى سيتوقف..آآه.. لفات ثلاث جريتها حول القرية وجميعهم يهرولون خلفى.. بجلابيبهم الخفاقة يصيحون على بالتوقف..يقتربون بالعصى يلوحون بها في الهواء ..بالحبال يرموننى..رفسة قوية سددتها لبطن الوحيد الذى أوشك أن يحيط بذراعيه المفتولتين عنقى ليطير مستقرا على ظهره في منتصف الترعة الموحلة..

شجرة جميز ظليلة..لأسترح خلفها قليلا وأسترد للقلب نبضاته ..رائع .. فدانين من الذرة أيضا يحجبان عن كل العيون..لأبرك هنا خلف الجذع الضخمة .. ياه.. رغبة عارمة تجتاحنى لأن أملأ هذا الفضاء الواسع..والمدى الأخضر..بالنهيق..أن أسب حسن الكلاف حتى سابع جد..

عفوا..سأقطع حديثى للحظة..فقط قضمتين من كوز الذرة هذا ..خرووش..خرووش..خرووشش..إحم..

المصيبة بدأت منذ تلك الليلة.. عاد حسن الكلاف من المدينة وعلى ذراعه طوى بعناية بنطلونا من جينز وقميصا مقلما بالأصفر اشتراهما مستعملين من هناك..فى الصباح التالى كان يرتديهما وقد صفف شعره بفازلين يقف فى وسط الزريبة يصيح بصبيه"عوض" أن يرمى أمامى بحزمة برسيم وأمام الجمل جلجل بمقطف من التبن..

خرووش..خرووش..إحم..

المهم..باعد جلجل بين قائميه وأطلق – على عادته – تيار بوله..تأفف حسن الكلاف – وعلى غير عادته – سحب فرع شجرة رفيع وانهال بها على عجيزة جلجل مخلفا على جلده بثورا دامية .. ظل جلجل حتى بعد انصراف حسن الكلاف يتململ ذاهلا.. متألما.. متقافزا بقوائمه فى مكانه..

ليلتها..وبعد أن انغلق علينا باب الزريبة..لمحت دمعة ضخمة تسقط من شاهق لتنغرس فى الأرض السبخة..رفعت رأسى نافضا الهواء بمنخارى ..كانت عينا جلجل مبللتين تماما..رغم إلحاحى بالسؤال ظل صامتا..فقط رعشة تتسلقه حتى سنامه..خفيضا نهقت مواسيا "لعل نثارا من البول أصاب وجه حسن الكلاف وهذا ما أغضبه"..حمحم

جلجل"لكنها المرة الأولى..ثم أن العصا كان لها طعما آخر غير طعم التأديب..طعما غريبا ومرعبا"...

خروش خروش.. امم.. لا أحد قادم على طول فدانى الذرة.. مخبأ رائع..

فى الصباح.. تابعنا حسن الكلاف وهو يرص فوق الكارو تلالا من مجلدات ورثها عن جده.. وابور جاز.. سجادة صلاة كان أبوه قد أحضرها من الحجاز.. قبل أن يرفع فرع الشجرة الذى لم يعد يفارق يمناه تقهقرت بظهرى بين ذراعى الكارو ليحكم حولى لف سيورها الجلدية.. فى المساء كنت عائدا بالكارو فارغة وقد توسطها حسن الكلاف مقرفصا يضم إلى صدره فى فرحة وحرص شديدين تليفزيونا صغيرا..

ليلتها لم يغمض لجلجل جفن.. استمر لأكثر من نصف ساعة يمضغ ساهما حفنة من تبن لم تكن لتستغرق من قبل بين فكيه أقل من الدقيقة..

المهم..من كوة فى جدار الزريبة تناهى إلينا صراخ زوجة حسن الكلاف بأنه أنانى..فكر فى تليفزيون يمتع فيه عينيه بحسناوات الأفلام والإعلانات دون أن يخطر بباله أن يشترى غسالة صغيرة ترحمها من

قطمة الوسط عند الغسيل فى الطشت..بعد ساعة كانت قبلاتهما تطرقع وتأكيدا لاهثا منه بتحقيق وعده بالغسالة خلال أسبوع..

خرووش..خرووش..آآآه..أتركونى أنهق حتى آخر هذا المدى الأخضر ..فقط سيسمعون..وسيثبون للإمساك بى..

المهم..استيقظنا ذات فجر على توسلات عوض الباكية لحسن الكلاف أن يبقيه فى خدمته ولو بنصف أجر.. ولو باللقمة والمنامة.. كان عوض جاثيا على أرض الزريبة بينما حسن الكلاف يدفع الحذاء فى صدره متخلصا من القبلات الهيستيرية والأصابع المتشبثة..يصيح مكررا سبه بأمه أنه لم يعد فى حاجة إلى خدماته..فالأمر قد انتهى..يومان ويحضر التاجر من المدينة لشراء جلجل..دبدب عوض بقدميه الحافيتين فى الأرض صارخا بأن أولاده سيموتون جوعا وأنه لن يترك عمله هنا..بعد دقائق كان يمسح مخاطه ودموعه بطرف جلبابه المهترئ بينما يعاود حسن الكلاف ركله فى مؤخرته ولطمه على قفاه المكشوف حتى قذف به خارج باب الدار...

ليلتها..رفض جلجل دخول الدار..اضطر حسن الكلاف أن يربط مخطمته فى احدى قضبان النافذة وتركها مفتوحة..تابعت رأس جلجل ضخمة تملأ النافذة وقد برك على ركبتيه فى الشارع..ظل طوال الليل البارد على صمته ضاربا بعينيه الضخمتين بين النجوم..فقط بين

ساعة وأخرى يطلق برغائه صيحة قصيرة عالية يرتج لها الشارع ثم يعود إلى صمته ..

خرووش.. الذباب هنا سمج.. أهش بذيلى فيبتعد ثم يعاود الهبوط على ظهرى بلسعات.. آه.. كثير من السبخ هنا.. المهم لا أحد ينتبه الى مخبأى هذا.. خروش ش.

المهم..أصاب حسن الكلاف جذع شديد لامتناع جلجل عن طعامه يومين متتالين ونحوله..كلما مد ذراعيه ببعض الكلأ نأى جلجل بشدقيه إلى أعلى..ابتسم حسن الكلاف وهو يقول "ياعبيط..بيعك لرجل فى المدينة لمصلحتك..سيجيئك طعامك معلبا فى صفائح ضخمة عليها كلمات أجنبية..وصورة لناقة ترتدى مايوها أصفر..ستقف فى حظيرة نظيفة..جدرانها من القيشانى"..بعد انصرافه نهقت لجلجل حاسدا وأنا أغمز بعينى ..غمغم"بعد ساعة واحدة من وصولى المدينة سيسلخوننى ويلصق الجزار بفخذى المعلقة على خطافه سعر الكيلو الجملى"..

آه ياجلجل.. خروش..

المهم..كان باب الزريبة مفتوحا عن آخره حينما لمحنا حسن الكلاف فى جلباب نظيف ومنشى .. وزوجته ترفل فى قميص بيتى مفتوح الصدر يرحبان فى بشاشة زائدة برجل يرتدى بنطلونا وقميصا أخضر مكوى ومنشى ..بعد دقائق..سمعنا الرجل وهو يثبت مبتسما عينيه في

عينى زوجة حسن الكلاف يشترط إلى جانب جلجل أن يشترى أمتارا من أرض الزريبة هنا حيطة لجمال قد يشتريها فى المستقبل فيربطها عليها حتى تسمن ..لاحظت بأن عينى الرجل كانتا تمسحان ما بين ثدييها فتتسع ابتسامتها ..فرك حسن ما بين الإبهام والسبابة..دفع الرجل بحزمتين من النقود تحت حساب ..اقترب من جلجل يتفحصه..جس قوائمه..بطنه..وحينما أراد رفع ذيله القصير فاجئه جلجل برفسة هائلة أطاحت به على ظهره خارج باب الزريبة..انتفض الرجل جالسا فى ذهول..فتح فمه وقد تدلى ضرس كامل من فكه العلوى ..

الذرة أصابنى بانتفاخ.. بطنى ستنفجر.. لا مؤاخذة.. سأطلق بعضا من الرر..يـي...يح.. إيبييه.. احم..نعم .. بدأت بطنى في الارتياح.. خروش.. خروش..

هرع حسن إلى الرجل بكوب ماء وملح.. وهو يخلص بأصابعه الضرس العالق من فكه تمضمض مبقبقا بصراخ "هنا ياحسن.. الآن..هنا"..قال حسن "أمرك"..

هرول ينادى من الشارع رجلين عاوناه على شد جلجل من الزريبة..بآخر عزمهما شدا مخطمته..أفسح بين قوائمه الأربعة يثبتها في مكانه بإصرار وهو يخفض من رقبته فيسحبهما ناحيته ..انضم إليهما حسن يشده.. بعد أكثر من ساعة لم يجد جلجل بدا..تحرك

يتبعهم فى تثاقل وهو يرغى غاضبا ..كانت عيناه محمرتان تماما وهو يرمق بجحوظهما الرجل فقفز مبتعدا عن طريقه..

أوقفاه فى باحة الدار..رمى إليهما حسن بحبلين لفا بهما قوائمه..حاول جلجل التقافز معترضا فتعثر بالحبال نصف عثرة لكنه سرعان ما تماسك واقفا..استمر يرج الدار برغاء مخيف..أشار حسن بأصابعه إشارة مفاجئة.. برزت عضلات الأذرع الأربعة وهم يخطفون الحبلين ناحيتهما في سرعة..ارتطم جلجل بالأرض عنيفا فاهتزت الدار وقفزت زوجة حسن مبتعدة صارخة في أنثوية مصطنعة ..قفز أحدهما يشبك كفيه تحت فك جلجل..شد الرأس الضخمة ناحيته بقوة..جحظت العينان ترمقان يترقب اللحظة المحتومة ..برزت أوتار الرقبة طويلة وغليظة..خطف حسن الكلاف مع تكبيرة سحبة بالسكين الضخم وابتعد في سرعة متفاديا طرطشة الدم ..ضرب الدم تيارا رفيعا يدور فوق التراب متجمعا ليفور فى دوامة تنمو سريعا..

آآه يا صديق العمر.. خروش..

استمر جلجل يضرب الأرض بكامل جسده..سكن للحظات يلهث ويرتعش ويشخص ببصره ناحيتى فأطأطئ برأسى داخل مقطف التبن أنفض الهواء بأنفى مكررا ..عاود حسن الكلاف الغوص بالسكين ذهابا وإيابا فى الرقبة..انفجر الدم ضاربا وجهه وقميص الرجل وتراب باحة الدار..اشتدت ضربات جلجل للهواء بقوائمه الطويلة كأنه يضرب

بأنفاسه الأخيرة عدوا يخاف أن يفوته الانتقام منه..انقطع أحد الحبلين..كشف شدقيه عن فكيه وهو يتغرغر برغائه..تضاغطت أسنانه الضخمه فتعالى صريرها..بصق الرجل فى غضب وهو يمسح بكفه على صدر قميصه ...

قبل أن يزيحوا جلجل إلى جانب الباحة كنت قد اتخذت القرار..بكل قوتى ضربت الأرض بحوافرى وانطلقت..بعد ساعات..فى دورتى الثانية حول القرية هاربا..وبينما كنت أقطع زحام السوق..لمحت جلجل وقد علق مقلوبا بين خطاطيف الجزار تتدلى من فخذه قطعة من كرتون بسعر الكيلو الجملى..

ياااه.. االليل أوشك أن يلف غيط الذرة.. قلبى يطمئن أكثر إلى أنهم لن يعثروا على.. الليلة على الأقل..

خرووش.. خرووش.. خروووش...

أبي

جرح على يمين الجبهة

عضت الكلابشات الحديدية على معصمه.. لعن الحر والعرق.. وزحام المحطة.. وزعيق القطارات.. واليوم الذي قرر فيه الخروج من بلدته للتطوع فى الميرى..

التفت محتدا إلى العجوز الذى وقع باستلامه منذ الصباح فى سيركى الترحيلات.. لم يجد بصدره القدرة على الصياح فى وجهه بأن يسرع أكثر كى يلحقا القطار.. كان العجوز بالفعل يضغط على كل مفاصله الخربة ليطاوع بخطواته الحافية المنكفئة داخل جلبابه مكشوف الصدر الرخيص جر الحديد الذى يكاد يهرس عظام معصمه بعروقه الزرقاء النافرة..

تعود كل صباح عيون الشارع تتابع كلابشات الترحيل تصلصل لامعة بينه وبين المسحوب ورائه و الذى غالبا ما يحاول جاهدا محاذاته

بـالخطوة الواسـعة كـي يخفـي بينهمـا الكلابشـات عـن الأعـين قـدر المستطاع..

هذا الصباح.. كانت مصمصات شفقة تلاحقهما وتطلق النمل على أعصابه.. دفع بباقى ساندويتش الطعمية الباردة تنضح بالزيت بين فكيه..

قبل أيام ثلاثة.. وهو يوقع على تسليم نبطشيته الليلية في القسم تابعه قادما يتأرجح بين أيديهم برأسه الحليقة وقد نبتت على جلدها شعيرات بيضاء متفرقة.. يتلقى قفاه المدلى أكف خمسة من بائعي الخضار وهم يتبادلون سبابه لأمه ورجولته حتى ألقوا به أما البك الضابط.. أقسم أحدهم أنه حاول الجرى بقفص البلح الأسود.. تلعثم الآخر ثم أكد لأجل اليمين وعينيه اللتان سيأكلهما الدود أنه رآه يتلفت حوله قبل أن يكبش من القفص كبشتين خبأهما في حجر جلبابه محاولا التسلل بعدها داخل زحام السوق ...

انتبه على بائع الجرائد يصيح بعناوين الحوادث..انتحى بالعجوز جانب الرصيف المزدحم..جلس إلى أريكة أسمنتية..ظل العجوز واقفا..خافض الرأس الحليق و ذبابة ضخمة تدور على أرضيته.. تطير وتعاود الحط ثانية بين زغبها.. تدوس الأحذية المسرعة نظراته الملتصقة ببلاطات الرصيف..تتحرك شفتاه بتمتمات لم يسمع منها..

كانت شفتا أبيه فى البلد تتحركان بمثلها عند الفجر..ذات فجر استيقظ وأمه وأخوته على زحام يهبد الباب..دفعت الأيدى الغاضبة فجأة بأبيهم لينكفئ على وجهه عند أقدامهم وسط باحة الدار المتربة.. تحلقوا حوله وأحدهم يذكر البقية بأن الله ستار..زعق آخر بالطلاق والخروج من الملة بأنها المرة الأخيرة التى سيرحمونه فيها..ولو عاود ثانية سرقة الخضار من الغيطان فسوف يسحبونه عاريا مكبل اليدين إلى حمار يلفون به حوارى البلد..كان أبوه مازال ملقيا على أرض الدار..يلهث فيتحرك الغبار مندفعا بعيد عن فمه المفتوح تسيل منه ريالة ممتزجة بدم ..وقد انحسر الجلباب عن ساقيه النحيفتين المرتعشتين..بعد ان صفقوا الباب خلفهم منصرفين أسرعت أمهم بدفس البن فى جرح غائر كان ينزف على يمين جبهته..ظل يتأوه وهو يعتدل في جلسته و يخرج لهم من سيالة جلبابه بعضا من حبات الخيار والطماطم ...

زعق القطار قادما.. أسرع بالنهوض.. سحبه خلفه.. توقف باب القطار أمامهما بصرير الفرامل.. فجأة.. دق قلبه بعنف.. فبينما هو يدفعه أمامه ليخترق به زحام الباب لمح على يمين جبهته بقايا بن تملأ جرح غائر.

غرفة

أبلغهم رابعنا في الغرفة أنه سمع نهنهتى تحت الغطاء قبل أن ننام ليلة الامس..

بعد إلحاح كاشفتهم بخوفى على أبى وقد تمكن السرطان من كبده فى مصر.. وأنى كنت هناك أكتب كثيرا.. وبأن هذه الغرفة التى نسكنها أربعة بألفى ريال لا تكفى حتى للتنفس..

ربت العامل فى المكتب المجاور للسكن على كتفى وأكد أن كفيله " فيصل القحطانى "لا يأت أبدا بعد الحادية عشر مساءا.. وأننى على مكتبه الضخم لن يزعجنى إلا تليفونا فى الواحدة صباحا من زوجة " فيصل "تسأل عن سر عدم عودته إلى الفيلا حتى الساعة وعن سر غلقه للموبايل.. وأنه على فقط ان أجيبها بظروف مقنعة.. وأن المكتب مكيف.. واسع..

نسى أن يخبرنى عن هذا الكرسى الدوار المغدق الحنو على فقرات الظهر المجهدة..

القصة فى رأسى مشوشة تماما.. رتبت الأوراق أمامى.. حاولت استحضارها بالسجائر.. افتقدت كوب شاى .. وجه كفيلى غاضبا تحت الظلال الحمراء لغترته يسألنى فى الصباح بصوت أجش عن سر تأخرى عن فتح المطعم الى السادسة (ليش ؟.. هه ؟.. ليش ؟.. ما تراعى حلال الناس؟).. من الفتحة اليمنى لمنخاره الواسع انسال وجه رئيس تحرير المجلة الأدبية المتخصصة -التي أراسلها في مصر بقصصى دون جدوى- تداعبه فتاه فى جينز "اسكنى" تجلس على مسند مقعده وهى تلقمه إصبع الموز (كمان ده.. عشان خاطر سوزى).. كان اسمها تحت قصة نشرت فى آخر الاسبوع يعتليها صورتها بتسريحة شعر هادئة ونظارة كاتبة متمرسة.. بطرف الغترة يمسح الكفيل أنفه لتغرق سوزى ورئيس التحرير داخل مخاطه..

القلم يعض وجه الورق بشخبطات وخطوط سميكة تتخلل دوائرا بأوضاع مختلفة..

لا أستطيع أن أدفع عن رأسى طريق الصباح الأسفلتى وقد انشق فجأة عن النيل بالرغم من ذلك لم يهدئ السائق الهندى الاسمر من سرعة الميكروباص وهو ينطلق به ناحية المطعم حتى أنه اصطدم بفلوكة

تتهادى فى النيل بأطفال يرتدون ملابسا جديدة وينفخون بالونات العيد..

التقطت المفاتيح من فوق زجاج المكتب.. أغلقت مصابيح النيون تباعا..

تناهى إلى أذنى رنين التليفون الرابض على المكتب..

سككت لسان الباب بالمفتاح مرتين..

رجعت الى الغرفة الممتلئة بشخير الثلاثة لأنام.

قفة

حلقات الغبار تفر من تحت ضربات الفؤوس.. عينا أبى جاحظتان أكثر مما عهدتهما..

– حاسب والنبى منك له بدل ماالفاس تلطش عضمة واحد منهم كده ولا كده.

أكد له ثلاثتهم بأنهم أكثر منه حرصا..بدأوا يجترون الذكريات مع – الله يرحمهم – وهم يتناوبون الربط بالنسب بين كل عظمة متربة يكشفون عنها وبين أعمامهم وأجدادهم .. اليومين الفائتين بتناهما هنا فى البلدة مع جدتى لنكمل بناء المدفن الجديد..بيدها المرتعشة سحبت من تحت وسادتها المهترئة قطعتين من حلوى الليمون التى دأبت على دسها فى كف كل طفل يدخل حجرتها..ابتسمت متمنعا..نبهتها أنى

سأستلم وظيفتي كمدرس رياضيات إعدادى الأسبوع القادم..أصرت على دسها فى يدى – هتكبر عليا ياواد ؟ .

حلفتنى بكل غال أن أترفق مع أبى فى نقل عظام جدي السباعى.. وأن أفصلها فى المدفن الجديد بعيدا عن عظام الآخرين...

برص ضخم أطل فجأة منزعجا من تحت ضربات الفؤوس..حرك رأسه يمينا ويسارا فتلاقت عينانا..فر من تحت ضربة فأس فاجأته فطالت ذيله لينفصل مبتورا يتلوى..زحف ببقيته ناحيتى بطيئا..توقف بجوار حذائى يغلق جفنيه ويفتحهما..أسرع يتلوى بالهرب حينما قذف لى أبى بالقفة الضخمة منبها –هنناولك واحده بواحده ..خللى بالك وانت بترص.

ارتعدت وأنا أتسلم عظمة ساق طويلة متربة..نفخت عنها وأكملت مسح سطحها المخشن بالبثور و النتوءات بيدى الأخرى..كانت الشوربة ساخنة على مائدة أم عايدة وقد استقرت في قعرها شربة لسان العصفور بينما استندت على جوانب الطاسة قطعة من عظام شبيهة مثقلة بلحم .. مصمص أحدهم بشفتيه وهو ينظر ناحيتى –عمك شوقى.. الله يرحمه كان طول الجزورينا دى.. وقع بحمارته وهو مروح بالليل فى بير الساقية الشرقية.

أقسم أبى محتدا بأن هذه الساق لا تمت لأخيه شوقى بصلة..بدليل أن ساقه كسرت ليلتها بينما هذه الساق خالية حتى من شرخ .. لكنها لزوج خالته الشيخ بيومى - البلهارسيا كلت كبده وهو ياعين أمه ماعداش التلاتين.. كان جدع.

أمسك أبى بجانبه الأيمن..تنهد مكملا -البلهارسيا..ملعونة فى كل كتاب.

ناولنى أحدهم جمجمة سقط عنها فكها السفلى مع عظمة ساق قصيرة..جمجمة أخرى تخلف على ماتبقى فيها من أسنان سواد تدخين شيشة سنوات طوال..ارتفعت بين ذراعى كومة من عظام مختلطة..سقطت واحدة داخل القفة فارتطمت ببقية العظام وهشمت طرفا من احداها..زعق أبى ملتاعا - فتح .. حرام عليك.

تابعت فى حذر رص عائلتى.. رفعوا فؤوسهم لاهثين يؤكدون بأنه لم تتبق في التراب عظمة واحدة..ألح أبى فعاودوا النبش من جديد..تداخل على سطح القفة خليطا رماديا ..زوايا جمجمة مع ضلع من قفص صدرى..عظام ساعد تخرج من تحت عظام ساق لتمر فى فتحة حوض ضخم متآكل الجوانب..

وقف أبى يشير للعمال ناحية المدفن الجديد..رفعوا القفة بين أيديهم يتبعون اشارته وهم يحملون قفة العائلة و لم يتبق عن حافتها إلا

بمقدار عظام شخص..فجأة لمحت ظل أبى مكسورا على وجه مدفن مجاور..شددت على ذراعه..شددت أكثر..على الأرض كنت أتابع ظل كفه ضخما يربت به على كتفى فى رفق .

كف أبى

ما زلن خالاتى وعماتى يحطن أمى بطبطبات على الكتف والظهر فى غرفة الصالون المواربة الباب.. ينهنهن.. ملتاعة تصيح عليه احداهن فجأة مذيلة اسمه ب " حبيبى " ممطوطة..

عائد لتوى بالبطانية الفارغة فى يدى..مضمخة بالمسك الذى أغرق به المغسل جسد أبى ..

- خلاص ياابنى..دفنتوه ؟

أكوام من الحجارة تداعت وتراصت فى الحلقوم – مثلما تراصت على فتحة قبره منذ ساعة – إلى الدرجة التى سدت بها أى فراغ تتسلل منه إجابة لسؤال أمى.. عيناها متورمتان..محمرتان..مهزومتان..كأن ملاك الموت قد صفعها لتبتعد عن طريقه وهو داخل من باب البيت متجها فى حزم إلى فراش أبى.. صدر أبى.. نبض أبى ...

فتحت باب غرفته.. بلاطها مازال مبللا بالماء الممزوج برائحته ..خالية إلا من جردلين كنا منذ ساعة نتناوب ملئهما ومناولتهما للمغسل..نظارة جرائد الصباح بعدساتها السميكة وإطارها المشروخ من أعلى وقد امتلأ الشرخ بصمغ قوى فائض ملقاة فوق دولاب التليفزيون..سلسلة مفاتيحه التى لم يكن لى أو لأى من أخوتى أن يلمسها وإلا تعرض لصفعة ثقيلة..أى منا له الآن أن يلتقطها من تحت هذا الكرسى المقلوب..أن يفتح بها كل المغلق فى البيت ويبعثر كل الأسرار الصغيرة والتي ينحصر معظمها في ديون للأقارب و قروض بضمان المعاش ..أن يلقى بها من البلكونة..وأن يسمعها ترن على أسفلت الشارع .. مط الشيخ سعد نهاية آذان العصر –من مكبر المسجد المجاور – ومازالت سجادة صلاته مطوية على ظهر الكنبة لم تمتد إليها يد مبلولة بالوضوء لتفردها.. ولا تلاحقت من أعماق راجية دعوات بالستر..

أى منا له الآن أن يسهر مع أصحابه إلى وش الصبح..وأن لا يسمعها على باب الشقة وهو موارب غير مفتوح..يسمعها محملة بأكوام غضب وبقايا رعد " كنت فين يا بيه ؟ ".. وأن لا تجحظ عين أى منا وهى تتابع فى خوف وترقب كفه الكبيرة إن كانت ستهوى على الصدغ..أو تزغد فى الكتف..أو تشير ناحية غرفة نومنا مصحوبة ب " الصباح رباح " ....

منذ ساعة كانت كفه الكبيرة مفرودة تماما فى هذه البقعة من الفراغ بعد أن تهاوت مع ذراعه العارية من فوق خشبة الغسل..كانت قد تداعت فجأة بينما المغسل منهمكا فى إغلاق العينين الممتلئتين برغاوى الصابون .. تسائلت كيف أن أبى لم يجفل بجفونه المفتوحة على مصراعيها لحرقان كل هذا الصابون..

الجميع يتعاون فى إفراغ أكياس القطن..يلفون به وجهه حتى غابت ملامحه مع شفتاه وقد تمكن منهما الازرقاق ..يسدون فتحات جسده.. عيناى متسمرتان على كفه المدلاة فى الفراغ وأنا أتمتم بآية الكرسى...

صوت الجردل الفارغ يقفز فجأة داخل الجردل الآخر مع رنة اليد المعدنية على حافته.. قالت أمى "المغسل عايز الحساب ".. مضت ناحية الحمام والجردلان فى يدها يتأرجحان فى انكسار ...

كفه الكبيرة ممدودة إلى مستر الإنجليزي بعد انخفاض درجاتى.. ممدودة إلى الطبيب فى بداية لدور احتقان اللوز..ممدودة إلى عربة البطيخ تلتقط من الكومة حبة ضخمة.تخبط على جدرانها كخبير ونحن نهيص فى البلكونة ننتظر صعوده بها..

" المغسل لسه مستنى "..

كفى ممدودة فى ركن الصالون إلى عمتى ابتهال فتحلف برحمة الغالى أن – بكها –لايحوى سوى عشرين جنيها.. لكنها غدا ستتصرف..بيس

يعتلى ظهر طابور من النمل يزحف به إلى أناملى..إلى كفى..يغزو ذراعى..تأوهت ممسكا به.. هرعن يتفحصنه.. أكدت زوجة خالى سعيد " بتحصل كتير فى الظروف دى.. يومين وهتفك..فتكم بالخير" ...

في المساء التالى كانت أمى تتلفت باحثة عن حسام " أخوك ماصدق.. كلها اسبوعين وماعدناش نشوفه إلا وش الفجر ".. هاتفه المحمول يردد لى رسالة مسجلة بأنه قد يكون مغلقا أو خارج الخدمة.. اتصلت بمن أعرفهم من شلته.. وقفت في الشرفة مستندا على سورها الرطب مرسلا عيناى إلى نهاية الشارع.. اهتزت بداخلى زلازل انفجرت عنها براكين..دفعتها إلى ثنايا عبارة واحدة سأهدر بها لحسام..لكبيرهم قبل صغيرهم..سأهدر بها وباب الشقة موارب غير مفتوح فاردا كفى لتبدو كبيرة " كنت فين يا بيه ؟ " .

زيـــــارة

بيـد مرتعشــة.. أودعـت جـدتى طـاقم أسـنانها بـين ثنايـات الفراش.. ابتهالات ما قبل صلاة الجمعة تتناهى مضمخة بتضرع وندم من بـين خرفشـات الميكروفـون الصدئ للمسـجد المجـاور.: فـى بطء شدت الغطاء فوق ركبتيها المتيبستين.. متسائلة شرخت الصمت فجأة "أبـوك بيجـى لـك فـى المنـام؟".. أومـئ برأسـى موافقـا.." مبسـوط ولا زعلان؟.. والنبى تسلم لى عليه ياضنايا " بطرف طرحتها السوداء تهش الذباب عن نصف خيارة إلى جانبها.."من يوم مماته مازارنيش ولامرة ".. تلقى بنصف الخيارة إلى قط دخل لتوه وانـزوى بهرش فـى ركن المندرة.. تسرح بعينيها المغبشتين بعيدا.. "يكون ما بيزرنيش علشان ليلتها صوت ولطمت كتير.. مش ضنايا ياخلق؟.. ابنـى ياناس ".. أستمر على صمتى.. فى حزن تردد "أنا غلطانة ياضنايا.. غلطانة..

بس أعمل إيه".. يلفنا الصمت.. يلفنا تماما.. تتوالى طقطقات مسبحتها الطويلة.

ركلة

ابتسمت سناء فجأة.. توقفت عن سحب خيط الصوف بين إبرتى التريكو.. أنزلت عن فمى كوب الشاى ورفعت حاجبى متسائلا.. ازدادت ابتسامتها اتساعا وهي تتحسس بطنها – ركلنى ابنك الآن.. أنا على يقين.. هى المرة الثانية هذا المساء.. أشعر بقدمه الصغيرة للغاية هنا..لا.. هنا.. سيملأ البيت شقاوة..

عادت مبتسمة تسحب من البكرة الحمراء خيطا.. بدأت الابرتان فى الدوران به على صدر البلوفر الأصفر تكمل به ضحكة ميكى ماوس.. انهارت داخل صدرى فجأة كل الكلمات التى كنت قد أعددتها منذ الظهيرة للرد غدا على إهانة المدير لى..

عسلية

- امسك فى إيدى جامد يامنعم علشان ماتتوهش فى المولد ده.

وسط الزحام وتراب الساحة المتطاير قبض منعم بأنامله الصغيرة على اصبعين من كف أبيه الضخمة.. بكفه الأخرى أزاح الطرطور الورقى الأحمر اللامع إلى الخلف.. فخور بأن عم فتحى الترزى قد فصل له من نفس " التوب " جلبابه وجلباب أبيه بخطوطهما الطولية الزرقاء.. وأن فى قدميه نفس البلغة البيضاء التى فى قدمى أبيه باختلاف المقاس اختلافا مضحكا وكأنها ابنتها..

شمس ظهيرة الجمعة تملأ الساحة المكتظة بالقرى المجاورة.. رائحة القش والدريس اليابس المتطاير تحت الأقدام تملأ خياشيمه.. المحفل يمر متهاديا على ظهر جمل معتليا كل الرؤوس.. الطبل البلدى الضخم يتدلى بحبل على صدر جلباب.. طوم طوم..

طـام.. طـوم طـوم.. طـام.. تمتـزج معـه الصـاجات الكبيـرة بطنـة نسوية ذات صدى تن..تن..تن.. ومزمـار بلدى فـى شقاوة يتقافز مزغـردا بـين الطـوم والـتن لتتـراقص الجلابيـب وأرجـل حمـار يمـر أمامهما فيسقط راكبه ليضحك أبوه عاليا ويضحك منعم..

أمام أقفاص زجاجية تعلو رأس منعم الصغيرة مستندة على قوائم من خـوص تخيره كف أبيـه بين أقراص المحوجـة ونبـوت الغفيـر والعسلية الملفوفة فى أوراق ملونة.. ثلاث مليمات أخرجها أبيه من سيالة جلبابه وهو يناوله العسلية الكبيرة وقد اختارها منعم فى ورقة حمـراء.. خرفشـت وهـو يفضـها ليطالعهـا بكـل حواسـه فـى لونهـا الـذهبى وكسـر الفـول السـودانى يبـرز مـن طرفيهـا يعـده بمزيـد مـن المتعـة.. عربـة كـارو تتبـع المحفـل علـى ظهرهـا غـوازى ثـلاث مكشوفات الصدر وجوانب الأفخـاذ.. تلمع على بذلاتهن المقصبة بالذهب قروش الترتر.. يتابعهن وهو يقضم من العسلية لتتفتت بين أضراسـه.. العسل يسيل علـى لسانه.. يدفع بـه إلـى سقف حلقه.. طعم العسل يملأ الدنيا.. كف أبيه تربت على كتفه.. طوم طوم.. تن.. طام.. تن ...

سعل المهندس منعم فى فراشه.. بيد مرتعشة تناول كوب الماء من علـى سـطح الكوميـدينو المجـاور فسـقطت نظارتـه السـميكة إلـى الأرض.. انحنى بصعوبة يلتقطها وهو ينادى – سميه.. سميه.

تركت سمية ابنها أحمد على السفرة وهي تطلب منه أن يترك الآيفون جانبا وأن يحفظ قانون أوم جيدا..

– نعم يا بابا.

- ناولينى يابنتى عسلية من الكيس اللى فى الدولاب.
- عسلية ايه بس.. السكر عالى عند حضرتك.
- يابنتى ماتتعبنيش واسمعى الكلام.. ناولينى واحدة.

خرفشت وهو يفضها.. طالعه حشو كسر الفول السودانى.. يقضم فيسيل العسل على لسانه.. كف أبيه تربت على كتفه.. طوم طوم.. تن.. طام.. تن.

صدى

انتبه للسعة رشفة الشاى بين شفتيه.. زمهما رافعا وجهه محاولا سحب الهواء البارد.. اصطدمت عيناه بعينى أبيه داخل برواز شد على جانبه العلوى شريط أسود.. على موضة السبعينات زحفت السوالف متمددة بقاعدة مثلث تحت شحمة الأذن.. شعيرات بيضاء تطل فى تردد من بين السواد المصفف إلى الخلف.. التفت إلى مرآة " النيش " بجانبه تعكس غزوا ناجحا لشعره الأبيض.. إحساس ما تشظي متناثرا بين جنباته بأنه قد صار أكبر من أبيه.. فى الحلاقة القادمة سيفرد كفه أمام أنبوبة الصباغة السريعة بالأسود رادا بها الأسطى فتحى الحلاق.. مرت من الشاى بين شفتيه رشفة أخرى لم ينتبه للسعتها.. تناهى فى أذنيه من بعيد أصوات أبواب جرارة تنغلق متتابعة فى سرعة.. يعقبها صرير صدئ لباب معدنى ضخم يتحرك متثاقلا وبثقة فى طريقه لأن ينغلق بصفقة رهيبة.. ذات صدى.

من يوميات غابة

تقاطر

تلاحقت نغمات " لاف ستورى " من الموبايل المتدلى من عنقها الطويل.. رغم عجلتها توقفت الغزالة " لولو " تحت شجرة صنوبر ضخمة تقرأ الاسم المجاور للرقم "أوف.. غزال سخيف.. فوق شذوذه فهو لا يدفع مايكفى.. هه "..

أغلقت المحمول تماما.. تلفتت..أين عيادة هذا القرد ؟..

اقتربت من الباب الخشبى المختفى تحت أكمة.. قبل أن تدقه بقوائمها كان الدكتور/شمس قد قفز أمامها من أعلى شجرة تتدلى من صدره المشعر سماعة طبية.. اتسعت فتحتا أنفه المحمرتين وهو يزوم محركا ذيله في سأم – أى خدمة؟

وجلت قليلا.. تماسكت وهي تهمس مضطربة –أنا قادمة لك من عند المهرة سوسو.. سو.. سو

هـرش بأظـافره الطويلـة أعلـى رأسـه الصـغير مهمهمـا – آه..نعـم .. تذكرتها.. أنثى أيضا؟.. أمم.. كم شهر؟

ارتجف جلد بطنها متماوجا.. أغمضت عينيها فى محاولة للم شتات الذاكرة– شهرا ونصف على ما أعتقد.. قد يكونا شهرين.

مد أطراف أنامله السلامية يتحسس جوانب بطنها.. مط بوزه وهو يهز وجهه فى قلق – الأمر صعب.. لقد بدأ الجنين فى التحرك.. أدخلى.

ضـربت برأسـها البـاب ودخلـت.. تفحصـت المنضـدة الطويلـة تعلوهـا حلقتين متدليتين تتعلق فيهما الأرجل الخلفية للأنثى تماما كما حكت لها سوسو وهي ترتعد – سأدفع لك ضعف ما دفعته سبوسو.

بكف مفرودة مشعرة بكثافة أشار إلى المنضدة والخلقتين اللتان رفعهما إلى الأعلى لتتناسبا مع قوائمها الطويلة – إذن لنبدأ.. فقط ساعدينى بالحفاظ على هدوئك وتحمل بعض الألم.. اتفقنا؟

تمددت بظهرها فوق المنضدة.. بسلسلة شد الحلقتين مباعدا تماما ما بين قائمتيها الخلفيتين..من بخاخة رش دفقتين من مطهر ..وهو يوليها ظهره يتفحص أدواته سأل في رتابة – دواع مهنه ؟..أم.. تنظيم أسرة؟

كانت ترتعش وهي تتابعه يلتقط جفتا خشبيا طويلا متسائلة ما الداع لكل هذا الطول الا اذا كان سيصل بطرفه الحاد بعيدا في أعماقها –أنا لم أتزوج بعد.

- هى رابع حالة هذا الأسبوع..ماذا جرى لإناث هذه الغابة ؟

- لقمة العيش.

التفت إلى الضوء المتقطع المنبعث من جهازها المحمول بموديله الحديث.. بنصف ابتسامة عقب – هه.

مفاجئا دفع بالجفت عميقا فى رحمها.. صرت لولو على أسنانها الضخمة.. تلاحقت من جبينها حبات عرق لزجة.. انبثق مخاط أبيض منسابا ليفترش الطاولة تحت مؤخرتها.. دس جذع شجر رفيع وقد قلمه بحافة اسطوانية ناعمة.. انزلق خارجا كيس شفاف يتحرك بداخله في وهن غزال جنينى غير مكتمل.. فى حركة خاطفة مزق بالمشرط الحبل الواصل بين الكيس وجوف لولو.. صرخت فى ألم.. تتابعت الرفسات الصغيرة فجأة داخل الكيس قوية متشنجة في اعتراض قبل أن تهدأ فجأة بارتجافات متباعدة لتسكن بعدها تماما..

تحاملت لولو على نفسها.. أخيرا استطاعت أن تقف فى اعياء كامل.. مد د. شمس يده بلفة تقطر منها الدماء.. سألت وهى تنظر ناحيتها في إعياء وحيرة – ماذا سأفعل به الآن؟.. تصرف انت.

- آسف.. بعيدا عن هنا.. اتركيه تحت أى شجرة.. ستتولى الذئاب بقية المهمة.

تناولت لولو أطراف اللفة بين أسنانها.. فى اعياء تحركت منصرفة.. مبتسما كان د. شمس يتابع حركة ردفيها.. التفتت إليه –بمجرد أن أسترد عافيتي سأدفع لك.

ضحك عاليا وقد لفت النشوة ما بين فخذيه – مفهوم.. مفهوم.. مع السلامة.

قبل أن يبتلع لولو إلتفاف الأشجار.. لاحظ بأن تقاطر الدم من الكيس الذي تحمله قد تباطأ تماما.

افتتاح

انتفخت أوداج صفى القردة والكلاب الوولف الضخمة بالنفخ فى البروجى تحية للضيف الكبير.. استمر الرائد/ ضبع محتفظا بنصف ابتسامة.. مجمدا حركة ذيله المنتصب فى احترام عسكرى.. متقدما بخطوتين تشريفيتين اللواء / فهد مدير أمن الغابة وهو يجتاز به أسوار السجن الجديد ...

شق الهواء أزيز كرباج ينتهي بارتطام ذو صدى مكتوم على لحم عار.. آهة طويلة ممزقة.. فى غير اكتراث أدار اللواء فهد وجهه يتابع.. قرد مربوط ووجهه إلى جذع شجرة ضخمة.. صلبت ذراعاه المشعرتان على امتدادهما.. بينما قرد ضخم كثيف شعر الصدر يضغط على كامل أسنانه ويمد بوزه المحمر فى غضب وهو يهوى بالكرباج تاركا على الظهر توقيعا طوليا ملتهبا..

-   ما تهمته؟

دون أن تهتز نصف الابتسامة.. بصوت خفيض مشحون بالثقة – يدعو لتحويل الغابة إلى مستعمرة دينية.. مدعيا الامارة.

طوح اللواء فهد بنظرة ساخرة وهو يرمى بكفه فى سأم – أعرفهم ظهرا لبطن.. يحاولون تلويث العقول.. ملوثون.

استمر الموكب الأمنى فى تجواله.. فى لباقة كان الرائد ضبع يستعرض أحدث أجهزة الصعق الكهربائى معقبا فى أكاديمية بأنها تسبب هبوطا فى الدورة الدموية دون أدنى أثر لشبهة جنائية عند تشريح الجثة.. منفاخ مزود بعداد إليكترونى يضبط هوائه على حجم أمعاء كل حيوان إلى ما قبل الانفجار بدفقة واحدة.. حوض يفيض بحمض الكبريتيك تصطك على حافته ركب أشجع الخصوم السياسيين للأسد الملك.. يقبل الأيدى والأرجل والأدمغة.. لكنه بعد دفعة مفاجئة فى الظهر تصبح مناعبه مجرد ذكرى تطفو مع بقايا من عظامه على وجه الحمض..

-   فلتتفضلون سيادتكم بإلقاء نظرة على جناح البكرات المعلقة.

من الفضاء.. بين شجرتين عاليتين.. ينسكب صهيل مجروح بآهات.. رفع اللواء رأسه حتى سقط عنه كابه العسكرى..حصان مقلوب معلق من قوائمه الأربع فى سلاسل معدنية طويلة تمر على بكرة ضخمة

بينما أطرافها الأخرى مربوطة إلى خصور أربعة أحصنة عسكرية على الأرض فـى اتجاهـات متخالفـة..يتقاربون بمـؤخراتهم فيهـبط ليغـوص بعينيـه الجـاحظتين ووجهـه المسـلخ وفتحتـي منخـاره المرتعشـتين فـى حوض الماء الساخن..تتوالى بداخله " بق بق بق بق " مع انتفاضات تشنجية للرأس والروح..تجرى الأحصنة الأربعة متباعدة فيعاود الارتفاع ناحية الشمس ..مفسوخ الأرجل..جاحظ العينين..فاغرا فكين ينتفضان انتفاضة الموت..بينما الماء يتساقط من ذؤابات شعره الطويل..

- ما تهمته؟

- ضبطناه ضمن مجموعة تروج لأفكار الحادية تمس الدين.
- همم.. أعرفهم.. يحاولون تلويث قيمنا الروحية.. قاذورات.

ارتفعت بين الأشجار أصوات بعض الوطاويط بالتحية العسكرية.. رفع الفهد طرف ذيله المرقط يردها فى تثاقل هاشا ذبابة فى نفس الوقت..

- من هنا سيادتكم.. تفضلوا.

توقف الموكب فجأة يتابع.. خروف يمأمئ بغضب فى وجه خروفين آخرين قد شلا حركته تماما.. خروف آخر عريض الصدر تعلو كتفه ثلاثة شرائط عسكرية يعاود محاولة الركوب على ظهره.. مباعدا ما بين ساقيه الخلفيتين.. محاولا التمكن.. جحظت عينا اللواء فهد فى شبقية.. استمر يتابع بكل خلايا جسده الضخم بينما الرائد ضبع يعلق – فى

التحقيقات كان يتكلم كثيرا عن حقوقه كحيوان فى غابة حرة.. كان صوته عال بشكل ملحوظ.. يحاول أن يكون ذكرا علينا.. سنفهمه بطريقتنا أن الذكورة هبة منا.. نستردها فى أى وقت.

تقدم واحد من الثعالب بدلو زجاجى من دم طاووس مثلج وابتسامة ترحيب.. قبل أن يهبط به اللواء /فهد عن فمه فارغا لمح ذيل مرقط بالأسود يتسلل فى تعب ومذلة من بين قضبان حديدية ضيقة تتوازى على جوانب قفص مظلم صغير.. أشار بذيله متسائلا..

-ابن عم سيادتكم يا افندم.

- آه.. نعم.. العدالة لا تعرف قريب ولا غريب.. لكن.. ألا ترى أن القفص أضيق من وقوف فهد؟

- إنه راكع بداخلها على ركبتيه منذ شهرين تقريبا.. كما أطلقنا عليه بعض العقارب المحترفة التى تم تعينها هنا مؤخرا.

- أنت مبدع أيها الرائد.. أخيرا ستنتهي ميوله الصحفية العبيطة وسيكف عن الكتابة فى مجلة الغابة الحرة.. أو فى أى مجلة.. كان يصفنى بأننى سا..سا.. ماذا؟

- سادى يا افندم.

- نعم.. كلمات غريبة لا أدرى من أى مزابل يأتون بها.

قبل أن يصل موكب الزيارة إلى باب الخروج.. كان قلب اللواء /فهد مشبعا بالرضى.. حتى أنه استمر لدقائق يربت على كتفى الرائد ضبع تحت فلاشات التصوير المتعاقبة مخرخرا بالثناء على حرفيته واخلاصه لعمله.. معلنا أن قرار ترقيته عميدا سيوقعه فى مكتبه غدا.. شب الرائد ضبع على قائمتيه الخلفيتين فى نشوة مكتومة ضاربا تحية عسكرية مشبعة بذكورة زائدة.

ألوان

أبي

من يوميات غابة



أصفر أحمر برتقالي

قليل جدا من كتاب القصة القصيرة من يستطيع أن يقبض على ناصية الحدث.. لكن القاص محمد عبد الواحد يفعل ذلك باقتدار لأنه يمتلك موهبة القص بالسليقة.

من كتاب: زوايا الرؤية. للناقد / ربيع مفتاح

محمد عبد الواحد.. حالة إبداعية وإنسانية فريدة.. ولولا التغريب لصار من أهم مبدعي الساحة الأدبية المصرية والعربية.. في هذه المرحلة.

القاص، وسكرتير تحرير مجلة الهلال / محمد شلبي أمين

هذا هو الأديب الذى يكتب القصة القصيدة

الشاعر / إبراهيم رضوان

عزيزى القارئ.. احترس..
توجد هنا كوابيس محكمة الصنع ستظل تطاردك لأسابيع عديدة.

القاص /د.عبد المنعم الباز

محمد عبد الواحد من كتاب القصة القصيرة اللذين يشدون المتلقي إلى قراءة قصصه حتى النهاية دون ملل أو توقف.. وهي سمة من أهم سمات القص القصير المتميز.. صاحب جملة قصصية جيدة تعرف معنى التركيز والتكثيف في سرد القصة القصيرة.

القاص / محمد خليل

الدار للنشر والتوزيع

غلاف: أحمد الملواني